الى مصرنا

جاء أخي يودعني استعدادا للمعركة

قلوبنا تفجَّرت دما
عيوننا نظرت الى السما
كلنّا صحنا كلنّا للعلى
نمشي ونمشي معا
بأقدام من هنا
الى دربنا
الى مصرنا

★

نمشي والقلب يقفز في الضلوع
نسأل والحرف يغلي في العروق
وفي الزوايا نحكي قصة لاطفالنا
نسجتها الايادي الغاشمة
وفي الزوايا نلعن الذلَّ والعدم
نثور على غدر الامم
من هنا نبعثها من هنا
حريّة تشعُّ في الوطن

★

ونعود
نحمل القلم الولوع
ونعود
نزأر في الدنيا العقوق
يا اخوتي
يا اخوتي عدنا الى عزّنا
والدرب مفتوح لنا
هيـا بنـا

★

أودّع واحداً واحدا
وأقبّل الجبين من أخي
والجبين صخرة لا تميد
شفتاي ترتدُّ بكبرياء عنيد
وذراعاي تلفّان السماء
« لا تقولي لامّنا العجوز
قلب أمّنا رقيق »

الى العلى معكم أنا
نمشي ونمشي معا
من جفوننا
نصنع الاراجيح لكم
بعزم الشباب اخوتي
أنتم هنا

★

ساروا مع الاخوان في عمر الورود
وعيون تقدح شرراً كالاسود
في الغد .. ولنا الغد
في الغد ألحق بكم
يا اخوتي
الى المعركة
. . . . .
. . . . .
. . . . .
ماذا تقول أمّنا غداً
بعد أن نبني
على أشلائنا الوطن ؟

ثريا ملحس

قصة سورية

الناس

بقلم فاضل السباعي

دلف « حسين النعسان » الى دكانه(١) في «باب جنين» عجلان مورد الوجه منتفخ الاوداج يكاد لا يبصر موطىء قدميه من فرط ما يجيش في نفسه من نقمة وغضب . والقى بجسده المهزول الى كرسي من القش واطىء في صدر دكانه المتطاولة بعيدا عن الاجراء والزبائن وضجيج السوق .. ثم ما لبث ان خلع معطفه الاسود ووضعه الى جانب ، ورفع طربوشه عن راسه ، وجعل يمسح صلعته المتعرقة ووجهه وما وراء اذنيه بمنديل في يمناه ، وقد انحسرت اذيال « صايته » البلورية عن ساقي « سرواله » الاسود .. ثم لم يلبث من جديد ان سحب قدميه من « صرمايته » الحمراء ، وبصق في فضاء الدكان بشدة وعزم ، وهمهم : « تفو على الناس ! » .. ثم اردف في حزم وتقرير : « ما عاد عندهم وجدان » !!

وجعل يستعيد في خاطره الصور ويسترجع الذكريات ... حتى اذا تمثل له ما آلت اليه حاله مع الست « عائشة الماوردي » ، لم يملك ان جعل يقول بصوت مسموع فيه حرقة :

ــ الله يخرب بيته .. لقد دفعت له والله ماطلب وما قصرت معه في شيء .. ومع ذلك يخونني ويتواطأ معها !

★ ★ ★

ولكن .. اما يجدر به ان يلوم نفسه ؟!

كان عليه الا ينساق وراء الاطراء ينظم آياته الناس تحدوهم في ذلك غاية او مصلحة او رغيبة !

لقد سأل جيرانه في سوق باب جنين/عن محام ابن حلال يوكل اليه امر دعواه ، فجعل كل منهم يزكي محاميا يتسامع من الناس عن نزاهته وتقاه ، ولكنهم ــ في الحق ــ وقفوا في تزكيتهم عند هذا الحد ما جاوزوه ، لان واحدا منهم لم يختبر بنفسه محاميا ، فما احاجهم الله بعد الى المحاكم والمحامين ... الا جاره الحاج « عيدو الخضري » ، فانه قد راح يتمدح باحد المحامين مسبغا عليه احلى الصفات والنعوت ، فقد عامله وخبر معدنه هو وافراد اسرته منذ حين بعيد في كل ما يلم بهم من مشكلات حياة ، فعرفوا فيه الصدق والنزاهة الى ابعد المدى .. وزاد بان قال في حماسة بالغة :

ــ ... ومكتبه ، يا سيد حسين ، هناك ، فوق ، في « قسطل الحجارين » ، فهو جار لنا جميعا .. انه رجل طيب ، ابن حلال ، مثل احسانك ، يخدمك بعيونه ولا يفتش معك في « الاتعاب » ...

وقد انبرى ــ لحظتها ــ يقول للحاج عيدو :

ــ يا سيدي ، والله انا غير سائل عن « المصاري » اعطيه ما يرضي الله والضمير .. لكن فقط الست عائشة الماوردي ، هذه البنت الملعون ، حرقت دمي يا رجل .. عشر سنين وهي تشغل عقاري في « العزيزية » ، حي الاكابر والذوات ، لقاء اجر تعافه الكلاب ... داري ، يا حاج عيدو ، مثل السراي .. هل رايتها ؟ خمس غرف وصالون يلعب فيه الخيال ، لا تليق بغير الملوك .. جعلت منها الست عائشة الماوردي « مصنعا » للخياطة .. نعم مصنعا .. ففي كل غرفة فيها اربع او خمس « ماكينات » للتطريز والخياطة تعمل في الليل والنهار .. فاذا طالبتها بزيادة الاجرة تعللت بالف علة : زبائنها يقلل عددهن والاجور ما زالت في انخفاض .. تصور جشع الناس ، يا حاج عيدو ؟ نحن نفني عافيتنا في سبيل اقتناء دار ، فاذاالمستاجر يستأثر بها لقاء تراب القروش !..

ولقد تبدت لناظريه ــ يومها ــ دلائل الاقتناع ترتسم على محيا صاحبه الحاج عيدو الخضري الذي ما توانى عن وصف الست عائشة الماوردي بما خطر في باله من اوصاف ، في حين اندفع هو يقول غير متحفظ في اطلاع صاحبه على دخيلة نفسه :

ــ اني انصفها كل الانصاف اذا قلت انها فاجرة ... لقد رايتها راي العين وهي في كامل زينتها وتبرجها معرضة نفسها لانظار الرجال ... ولكن ، لم هذا الحكي ؟ اللهم استر عليها يا رب ...

نعم . فقد رآها ذات مساء ، وهو يتنزه في«العزيزية»، في احدى نوافذ الدار ، وقد اتخذت زينتها من ابيض واحمر واصفر ، ترقب المارين الذين غص بهم الشارع بعين فاحصة لهيفة في غير ما خجل او استحياء ، وقد كان اولى بها ــ وهي الفتاة البكر ــ ان تتخفى عن انظار الرجال ... ولكن ، اما كان يومها على استعداد لان يثني بها على ام الاولاد ؟ .. لم المراوغة والمداورة ؟ .. انها غضة كالفستق الحلبي ما تجاوزت الثلاثين والله ابدا ... ولئن كانت الحال قد الجأتها الى ان تفتتح لنفسها محلا للخياطة تدفن فيه ربيع العمر وزهرة الشباب ، فان زواجها به لرادها الى حياة الدعة والهناءة التي هي حقيقة با نتحياها في كنفه وقد افاض الله عليه الخير كل الخير من دكانه العامرة في باب جنين حيث يقوم بتوريد الفاكهة والخضار

(١) لقد حالف الخطل بعضهم في فهم معطى القصة ــ يوم اذيعت من دار الاذاعة السورية بحلب ــ فظنوا بها تعريضا بطائفة من الناس ، هي تلك التي انتسب اليها . ولو قد اخلصوا في الفهم وترووا ، لوجدوا فيها خلاف ما توهموا : [ف . س المحامي]

بالجملة الى الباعة في سائر انحاء المدينة .

ولكن ، ما لهذه الافكار البلهاء ، تتراوح في خاطره ؟ انه قد بات اليوم يشعر بالكراهية العارمة تجاه الست عائشة الماوردي تتدفق في حناياه ! أتنتصر عليه بالباطل حرمة ، وهو صاحب حق صراح لا يتسرب اليه الشك ؟ . على انه يجب الا يعفي الحاج عيدو الخضري من الوزر ، اليس هو الذي دله على الاستاذ «صلاح الدين ابو الشامات» ذلك المحامي الذي اجهز له على حقه في قاعة المحكمة وما ابقى فيه على نامة ؟. بل ، الحق كله عليه هو ، فقد كان ينبغي ان يكون اكثر احتراسا في تصديق مقالة الحاج عيدو تلك ، فالناس اصحاب غايات ، وانه الان لا يشك في ان صاحبه انما كان يحدوه في امتداح الاستاذ صلاح الدين هذا غاية يروم قضاءها لديه على حسابه هو ! . انه لا يستطيع ان يصدق ان انسانا الحق في يمينه وضاحا لا يتريث في ان يلقي به لقمة سائغة بين يدي محام كالاستاذ صلاح الدين ابو الشامات !

لقد كان عليه ان يصحو الى نفسه عندما مر بدكانه في ذلك المساء الحاج عيدو مبديا استعداده لاصطحابه الى مكتب الاستاذ ابو الشامات ليعرفه به ويوصيه خيرا . وقد استعجله في اغلاق الدكان وصرف الاجراء عندما آنس فيه الرغبة في التريث والاستئناء ، بدعوى ان زبائن الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات كثر ان بدا سيلهم بعيد قليل فلن ينقطع حتى بعد العشاء . فاذاهو ينقاد له كالنعجة البلهاء تساق الى الذبح غافلة عما يترصدها من مصير تعيس .

وقد صعدا الى مكتب الاستاذ ، ودلفا اليه في حجرته يتقدمه الحاج عيدو . ولقد رأى فيه ــ في الحق ــ لاول وهلة رجلا بدينا ، في نحو الاربعين من عمره ، يطفح محياه بسيماء الطيبة والوداعة . ولكنه ، عندما دنا اليه خلف مكتبه ليصافحه ، اكتفى هذا بان مد اليه في غير احتفال يدا سمينة مسترخية دون ان يكلف نفسه عناء النهوض .. ثم انكب من جديد على الاوراق بين يديه يقلبها تارة ويكتب فيها كلاما ويجففه بالمنشفة امامه تارة اخرى.

وبعد حين ، وهو والحاج عيدو صامتان لا ينبسان في انتظار ان يفرغ الاستاذ من بعض شانه ، رفع اليهما راسه مرحبا :

ــ اهلا وسهلا بالشباب ..

فأجابه الحاج عيدو بحمية واندفاع :

ــ الله يسلمك ، استاذ .. كيف الصحة ؟ كيف الحال ؟ ان شاء الله مبسوط ؟ ..

ثم قال بعد قليل :

ــ ماذا جرى في دعوى علي صطام بخصوص محاولة القتل ؟ ان شاء الله طلع براءة ؟ هذا ولد درويش ابن حلال اعرفه في الحارة مذ كان صغيرا ..

وبعد ان اجاب الاستاذ على هــذا الكلام مطمئنا ، ابتدره الحاج عيدو من جديد يقول باعتذار وهو يشير صوبه :

ــ حضرته الاخ حسين النعسان .. من اعيان سوق باب جنين .. يريد رفع دعوى ..

فتحولت اليه عينا الاستاذ وقد شع فيهما بريق ، تستوضحانه وتستنطقانه . ولقد انشأ يحكي يومها في شيء من التهيب اخذ عليه نفسه شارحا فحوى قضيته :

ــ لي دار في العزيزية .. تسكنها من حوالي عشر سنين الست عائشة الماوردي .. وقد امتنعت عن دفع احد الاقساط .. فانذرتها .. فلم تدفع رغم مضي عشرة ايام .. فهل يمكنني اخراجها من الدار ؟

فرد عليه الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات بالحال ، في لهجة الامر المفروغ منه :

ــ ما دامت لم تدفع خلال العشرة الايام فالقانون في ناصرك ..

وقفز يومها قلبه في صدره من فرط السرور .. وتصور غريمته الست عائشة الماوردي تحمل عربات النقل اثاثها غير ماسوف على فراقها .. وما كتم بسمة الفرح تطفر الى شفتيه .. وود لو قام الى صاحبه الحاج عيدو ياخذه بين ذراعيه ويقبله الف قبلة .. عشر سنين : يا ناس ، وهو يتفكر في وسيلة للتخلص من الست عائشة الماوردي ، وهي كالعلقة ماسكة بالدار لا تريم عنها ، وما دار بخلده يوما ان يلجا الى محام لانه يسمع عن بعض المحامين قصصا تروى وحكايات ، لولا ان هداه الحاج عيدو ؛ وهو لن ينسى له عمره هذا الفضل .

ثم جعل الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات يستوضحه بعض امور : رقم العقار ، والمنطقة التي يقع فيها ، واسم المدعى عليها كاملا .. ثم اعطاه بطاقة مطبوعا عليها اسمه بخط جميل كله التواءات ، وقد كتب على وجهها الاخر بعض البيانات ، وطلب اليه ان يذهب بها في الغد الى « دائرة الوكالات » في « قصر العدل » لتنظيم الوكالة ، ولسوف يجده هناك ، في « نقابة المحامين » ان هو استعصى عليه أمر .

وران بعد ذلك صمت قطعه الحاج عيدو يقول :

ــ والاتعاب ، يا استاذ ؟ .. كيف سيكون حسابها ؟

فأجابه الاستاذ في تعفف وهو يتشاغل بتقليب اوراق امامه :

ــ ما في تكليف ، يا حاج عيدو .. انت رجل صاحبنا من زمان ، والسيد حسين اخونا بالدين والايمان .. ليدفع مائة ليرة مقدما للاتعاب ، ومثلها فيما بعد مؤخرا ...

وقد رآها يومذاك اقل مما يتصور بكثير . انه كان على استعداد لان يدفع اضعاف هذا المبلغ ثمنا لاخراج الست عائشة الماوردي ان تهدم اركانها .. انها دار امراء ، يدفع بذات المائة الى الاستاذ ابو الشامات :

ــ والله ، يا استاذ .. انا « المصاري » لا تهمني .. انما فقط الدار ، اريد ان اسكنها .. كادت « ماكينات » الست عائشة الماوردي ان تهدم اركانها .. انها درا امراء ، يا استاذ .. انا جنيت الدار بكد اليمين وعرق الجبين .. الملك غالي على اصحابه ، يا استاذ ...

فقاطعه الحاج عيدو وهو يستعد للانصراف :

ــ لا تفكر ، يا سيد حسن .. انت سلمت الامر لمن هو احرص منك عليه .

فهز الاستاذ صلاح الدين راسه موافقا مطمئنا ، وهو يردد « على خير .. على خير .. » ، في حين كان هو والحاج عيدو يغادران المكتب ، والبشر يغمر فؤاده .

ثم انه اتخذ سبيله في اليوم التالي الى قصر العدل ، حيث نظم الوكالة ، وعرج من ثم على نقابة المحامين ليدفع

بها الى الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات . ولقد لمحه ، من خلال باب النقابة ، بين ثلة من المحامين يحكي احدهم – فيما يبدو – حكاية وسائرهم منصت كان على راسه الطير : فتهيب ان يقتحم عليه مجلسه هذا . فانفذ اليه آذن النقابة وقد اشار الاستاذ ابو الشامات للاذن ، اذ همس في اذنه ، اشارة ان « لينتظر » ... فامتعض – وهو في الباب – من هذا الاهمال يديه نحوه الاستاذ ؛ لم لا يقوم اليه يلقاه ؟ اهو انسان ام من سقط المتاع ؟ .. منذ تلك الساعة ابتدا يحس نحوه بالكراهية ، وما خفف من حدتها ان خرج اليه بعيد دقائق هاشا معتذرا . لكم كان يحسن صنعا لو انه انصرف عنه من يومئذ الى غيره من المحامين ، فهم كثر يملؤون مقاعد النقابة الفسيحة كما راى بام عينيه ! .. ولكن الله اعمى بصيرته فما اهدته سواء السبيل .. كان مكتوبا على جبينه ان يسلم دعواه لهذا الاستاذ ليقوده الى المصير الذي صار اليه !

فقد رفع له الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات الدعوى ، فاذا موعد الجلسة بعيد بعيد ... فراجع الاستاذ في هذا الخصوص ؛ اما كان بالامكان ان يجعل الموعد اقل من شهر بطوله ؟ ولكن الاستاذ رد باقتضاب بان « الاصول في المحاكم هكذا » ... انه يضحك عليه ، فهو لا ريب – في رايه – رجل بسيط ، تاجر خضار في باب جنين !

وفي الجلسة الاولى ذهب الى المحكمة وجلس في مقاعد النظارة . الى ان نودي على الست عائشة الماوردي ، فاذا هي لم تحضر . ثم نودي على الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات ، فاقبل الى القاعة يتبختر في ردائه الاسود اللامع كالطاووس ، ووقف قبالة القاضي الذي انصرف الى اضبارة الدعوى يقلب اوراقها بين يديه ويكلم الاستاذ صلاح الدين بصوت خفيض لم يتبينه ، ثم جعلا يتضاحكان ، وبعدها خط القاضي على ظاهر الاضبارة كلمة او كلمتين ورمى بها الى جانب .

وخرج الاستاذ من القاعة . فلحق به يسأله عما تم في دعواه . فانهى اليه ان المدعى عليها عائشة لم تحضر ، فيلزم اعادة تبليغها . وزاد بان طلب منه ليرة رسم الاخطار .

فجمد في مكانه لحظة لا ينبس . ثم سأل الاستاذ عما اذا كانا مكلفين باعادة تبليغ الست عائشة الماوردي الى ما لا نهاية ، فلعلها لا تحضر على ذلك ابد الدهر ، اما كان اولى به ان يطلب الى القاضي ان يحكم عليها غيابيا جزاء على اهمالها الحضور ؟ !

فتطلع اليه الاستاذ ضائقا بصراحته وجراته ، وافهمه بخشونة ان هذا امر في حدود اختصاصه ولا دراية لغيره به . وقد رد عليه وقتها :

– يا سيدي ، علمك على العين والراس . لكن الدار اريد ان اسكنها ...

– تسكنها او لا تسكنها .. الاصول يجب ان تطبق . تدفع الان ليرة رسم الاخطار ، وموعد الجلسة التالية في مثل هذا اليوم من الشهر القادم ! ..

صحيح ، ان يده قد امتدت حينها الى جيبه في مزيد من الهدوء وطلعت بليرة نفحها للاستاذ .. ولكن ، بعد ان مضى في طريقه وحيدا ، جعل يوزع على الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات والحاج عيدو الخضري ما طاب من الشتائم واللعنات .. ان الاستاذ يابى الا ان يجعل بين الجلسة والاخرى شهرا ؛ اليس في مقدوره ان يجعلها اسبوعا واحدا مثلا .. لقد وضح له انها مكيدة مدبرة نسج خيوطها ببراعة الحاج عيدو .. وما عاد بامكانه ان يفعل شيئا .. انه وقع ولا مقيل لعثرته .

وهذا اليوم .. اتخذ طريقه الى المحكمة محتملا قلبه على كفيه ، وجلس في مقاعد المتفرجين ينتظر . انه لحريص على ان يحضر كل جلسة ، على رغم من ان الاستاذ انهى اليه عدم جدوى حضوره ما دامت له في اضبارة الدعوى وكالة !

وقد طال به الجلوس وما نودي على الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات . فخطر له ان ينهض يستقصي اثره في ابهاء قصر العدل ، فلعله ان يلقاه فياتي به لتاخذ المحكمة مجراها فما عادت به طاقة او احتمال والدكان يعبث بها الاجراء ؛ ولكنه تهيب ان يقوم امام الحضور في القاعة ، فلبث في مكانه لا يريم .

وهو كذلك .. ما راى الا والست عائشة الماوردي تدخل القاعة بوجه يزدهي حسنا بما طلي من اصباغ والوان تتهادى في خطو وائق رشيق ، وقد لفت جسدها حلة من الحرير مزهرة ارتفع من دونها الصدر واستدق الخصر ، مثلما انحسر الكمان عن ذراعين ممتلئين ابيضين كالثلج النقاف ، يتضوع منها في ذلك عبر طيب نفاذ ... لله درها من ماكرة ؛ اكانت تقصد اذن ان تخلب الالباب وتأسر القلوب وتقضي له على حقه الصريح !

فتململ ، وهو في موضعه بين النظارة ، مغيظاً محنقاً ، واحس بالدم يفور في راسه ، وادرك ان حضور الست عائشة الماوردي الى المحكمة بكامل زينتها امر له معناه .

وقد سالها القاضي متلطفاً عما تبغي . فاجابته برقة ودلال بكلام لم يتبينه لبعده عن منصة القاضي . ثم فتحت محفظتها ودفعت بورقة سرعان ما الم بمحتواها وانكفا الى الاضابير امامه وسحب منها واحدة وفتحها وجعل يقلب اوراقها باهتمام لا مثيل له .. ثم اوعز الى الحاجب لينادي الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات ، ولكن هذا لم يحضر . فاوعز بالنداء على حسين النعسان .. ولكنه ما تحرك من موضعه ، لم يقوم ؟ اليسمع بنفسه الحكم يعلن خذلانه على مرأى من الست عائشة الماوردي فيدخل الى نفسها الشماتة والسرور ؟ .

وعاد الحاجب ينادي بعد هنيهات الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات باصرار والحاح ، فما بان له على رغم ذلك اثر . فانكفا من جديد الى اسمه يقلبه على لسانه الحاد بصوت ممطوط الاخر مختلف النبرات ، وهو لا يتزحزح عن مقعده قيد شعرة !

وبعد حين .. اقبل الى القاعة الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات يحث خطاه بفخامته ومهابته . ووقف قبالة القاضي الى جوار الست عائشة الماوردي وهو يرمقها فاغر الفم مشدوهاً .. ثم مال اليها – وقد عرف انها خصمه – يسالها ويلاطفها ، وهي تجيبه متطلقة الاسارير .. على حين كان يرقبهما من حيث لا يريانه وهو في مكانه بين النظارة ، ولو قد عرف قبل اليوم ان الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات مغرم بالنساء ، تخطف الحلوة منهن عقله وتنسيه دينه لما اوكل اليه امر دعواه .

وما هو الا ان اوعز القاضي للحاجب بعد قليل بالنداء على حسين النعسان ، ولكنه ما لبث ان هب من موضعه الى المنصة من قبل ان يرفع الحاجب عقيرته بالنداء .

ولقد ساله اذ ذاك القاضي طويلا . واجابه بكلام كثير ..

وانه – الان – لا يذكر كل ما وجه اليه من اسئلة . انه يذكر ان القاضي ساله عن الشهر الذي يدعي ان الست عائشة الماوردي قد امتنعت فيه عن اداء القسط ؟ فاجابه بصراحة – لانه لا يعرف غير الصدق – بان ذلك كان منذ شهور لعلها ثلاثة او اربعة ... فعاد القاضي يساله عما اذا كان قد قبض من المدعى عليها بدلات ايجار بعد رفع دعواه هذه ؟ (١) فاجاب بالايجاب ... اليست الدار له جناها بكد اليمين وعرق الجبين ؟ ! .. كل ذلك ، والاستاذ صلاح الدين ابو الشامات خلفه يتسمع – علم الله – ولا يجيب ؛ مبلغ ما صنع له ان احس بيده تمتد اليه من خلف – عندما وجه اليه القاضي السؤال الاخير – وتضغط على ساعده وتقرصه ، فتضايق من هذا الصنيع ، والتفت الى الاستاذ يرميه بنظرات التساؤل والعجب ، فوجده محمر الوجه كنز جبهته بالعرق الغزير .. وبعدها راى القاضي يلتفت الى الاستاذ ويقول بان الدعوى متوجبة الـرد قانونا .. لاسباب ذكرها ولم يفقه هو منها شيئاً ! ...

وانسل من قاعة المحكمة ، وقد خيل اليه ان الدنيا قد باتت سوداء في عينيه مدلهمة . ومكث بجوار الباب لحظات لا يبصر من فرط ما اعتراه من هم وخزي : أتنتصر عليه بالباطل حرمة وهو صاحب الحق الصراح الذي لا يتسرب اليه الشك ؟ بل انه غير اسف على خسار دعواه بقدر ما هو خزيان لهزيمته على مشهد من الست عائشة الماوردي !

وطلع من القاعة بعد هنيهات الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات . واذا على مقربة خطوة منه الست عائشة الماوردي تجاذبه الحديث وعلى محياها الق البشر والسعادة ؛ فلعن في سره الحاج عيدو الخضري ، وما كتم صوتا جافا ند عن حلقه يطلب اليه الاستاذ صلاح الدين ابو الشامات .

وهو قد توقع منه ان يتعلل بعشرين علة يبرىء بها ساحته من تهمة اسقاط الدعوى ، ولكنه ما توقع ان يضع الحق – كل الحق – عليه هو ! لقد جعل الاستاذ صلاح الدين يعاتبه على اقراره في المحكمة بقبض بدلات الايجار .. العجب من هذا عتاب ! وانه قد اجابه بما يضطرم في خاطره وتضيق به نفسه :

– ولم لا اقبض ، يا استاذ ؟ ! الدار داري .. حلالي زلالي ..

فلاذ الاستاذ بالصمت لا يحكي كلمة واحدة . في حين انشا هو يعاتبه مر العتاب .. وقد قال له فيما قال قبل ان يغادر قصر العدل :

– يا استاذ .. انا ما كنت انتظر منك ذلك .. لقد دفعت لك ما طلبت وما قصرت معك في شيء ، ومع ذلك تخونني وتتواطأ مع الست عائشة الماوردي ؟ .. ولكن لا بأس .. الحق ليس عليك ، الحق على الحاج عيدو الخضري!

اجل ، لقد قالها ... قالها وما كتمها في نفسه .

وانه – الان – ليتساءل غير مصدق فيما بينه وبين نفسه ، كيف انتصرت عليه هذه البنت الملعون ! .. عشر سنين وهي تشغل عقاره ، في حي الاكابر والذوات ، لقاء اجر تعافه الكلاب . داره مثل السـراي . خمس غرف وصالون يلعب فيه الخيال ... لكن ، ماذا يقول ؟ .. تفو على الناس .. ما عاد عندهم وجدان ! ...

وانطلقت من بين شفتيه بصقة استقرت على ارض الدكان في عنف وحقد .

★ ★ ★

ولمح حسين النعسان ، وهو في مكمنه ، كاتب الدكان يقبل متابطا دفتره وقد عاد من تطوافه على بائعي الخضار . فصاح به وهو يهم بالنهوض :

– كم لمت اليوم ، يا حمادة ؟

فاجاب حمادة :

– الغلة اليوم قليلة ، يا معلمي .. اقل من الالف بكثير ..

فبصق حسين النعسان على الارض من جديد ..

ثم قام الى الزبائن في فم الدكان يعاون الاجراء في بيع صناديق الفاكهة وعدول الخضار ... بينما كانت صور الطالحين من الناس ، امثال الحاج عيدو الخضري والاستاذ صلاح الدين ابو الشامات والست عائشة الماوردي .. تتلاشى في خاطره رويدا رويدا في ضجة السوق الغامرة .

حلب — **فاضل السباعي**

(١) ثمة اجتهاد في القانون السوري يقضي بان قبض المدعي طالب التخلية بدلات ايجار من المستاجر المدعى عليه ، بعد رفع الدعوى ، معناه التنازل عن طلب التخلية ، مما يتوجب معه على القاضي رد الدعوى .

غيرة الميت

ذكريات الاسى هدمت نعيمي
وجحيم" ذكرى الجحيم القديم
ما لنا نحمل الغيوم من الماضي
وَننسى الندى وصحو النجوم
وصباحاً لنا ، وواحة شمس
ودروباً للحلم خلف التخوم ،
ذكريات" للريح أطعمها الكفر
وأبقى على اذكار اليم
يغرق الحاضر البريء بليل
بارد الرعب ، مأتمي الهميم
غيرة الميت لم تزل حيّة
تنهض بالميت من ثراه الرميم
أخرست داءه فهب فتياً
وغوياً خدن الصراع القديم
يدعي البيت ، والسرير ، وليلى
يدعيها ، دعوى الوفاء العقيم
أزهرت بعده الوسائد والاستار
هلت بعد السواد العميم

أين يا مخدع الهوى ، أين رسم"
للحبيبين ، أين باقي الرسوم
أين كأس ولّى وغادرها ملأى
وهل طاب طعمها للنديم
آه يا جفوة الحبيب ، جفا الشوك
على القبر ، جف ظل الهشيم

●

ـ أيها الطارق اللهيف ترفق
بهوانا ، بقلب ليلى الرحيم
أنت فيه ذكرى تئن وجرح"
يعقد الليل في المحيا الوسيم
يجمد الزهو في الكؤوس اذا
همت ويذوي الشفاه مر الوجوم

●

عبثاً تتقي بوهج صبانا
ظل ميت ، ورجع امس مغيم

خليل حاوي

فن القصة عند مير بصري

بقلم محمد حمدي النابهي ....

*

في أثناء دراستي للادب الانكليزي بجامعة كولومبيا قدمت اطروحة عن تطور القصة في الادبين الانكليزي والامريكي في العصر الحديث . وقد عنيت بعد ذلك بتتبع نشوء القصة العربية الحديثة ودراسة النماذج التي حصلت عليها في هذا البلد البعيد . والذي يلفت النظر لاول وهلة ان هذا الفن جديد في اللغة العربية فالقصاصون العرب القدماء لم يكادوا يخرجون عن منطوق « الحكاية » Tale ولم يعرفوا الاساليب الطريفة التي تمتاز بها الرواية او القصة الغربية من عرض موضوع و « جو » وغير ذلك . والقصة العربية القديمة انواع متعددة اهمها :

ـ الحكاية وهي ابسطها قصة بدائية عرفتها جميع الامم تتخللها الحوادث المثيرة وقد يظهر فيها الجن والمخلوقات الخرافية والخيالية والوقائع الخارقة للطبيعة . و « الف ليلة وليلة » احسن مثال يقوم لهذه الحكايات .

ـ امثال الحيوانات وهي الحكايات المضروبة على لسان الحيوان والطير كامثال لقمان الحكيم واسوب اليوناني وكليلة ودمنة .

ـ المقامات وهي فن قائم بذاته تتناول كل مقامة حادثة تجري مجرى القصة ولكنها في اكثر الاحيان ساذجة لا يقصد منها الا ابراز افانين لغوية او ادبية وما ماثلها .

ـ الرواية وهي ضرب اخر من القصص يرمي الى ابراز عبرة او خبر او تصوير واقعة وما اشبه وهي كثيرة في كتب الادب كالاغاني وكتب الجاحظ والكامل والامتاع والمؤانسة . ولا خلاف ان هذه الروايات قد يحتوي بعضها على عناصر القصة الحديثة ولكنها كفن مستقلة عنها تماما .

والواضح ان الآداب الغربية لم تعرف القصة كفن جديد الا منذ قرنين او دون ذلك . اما الادب العربي فعالج القصة الحديثة في النهضة الحاضرة التي لا تمتد لاكثر من نصف قرن الى الوراء .

وقع بيدي مؤخرا كتاب « رجال وظلال » للاديب العراقي مير بصري (طبع بغداد ١٩٥٥) فقرأته بامعان ووجدته يحتوي امثلة صالحة للقصة الحديثة وقد شرعت بتحليله وترجمة بعض قصصه لنشرها في المجلات الامريكية كنموذج للادب العربي المعاصر . وارغب في هذه المقالة ان احلل فن هذا الاديب القصصي كما يظهر من كتابه الانف الذكر ولعلي اتوفق في المستقبل لتحليل فن القصة عند بعض الادباء العرب الاخرين .

اول ما يلفت النظر عند تدقيق قصص « رجال وظلال » عناية المؤلف بسلامة اللغة وفصاحتها حتى ولا تجد في كتابه اي تعبير عامي او محلي بل كتبت القصص جميعها ـ وحتى محاورات الاشخاص المفروض كونهم من العوام ـ بلغة عربية فصيحة . وقد يعد البعض ذلك تزمتا ولكن في امكان المؤلف ان يبرر ذلك بكونه يكتب ادبا رفيعا لقراء العربية في مختلف اقطارهم فلا يرغب ان تلوح على قصصه نزعة اقليمية او تظهر فيها كلمة او تعبير يخفى على المصري او المراكشي مثلا . وادخال التعابير العامية او المحلية في القصص كان موضوع نزاع طويل بين المحبذين والمستنكرين في الاداب الغربية نفسها ولا يمكن القول ان احد الرايين المتنازعين قد تغلب على الاخر ولو ان اكثر القصاصين المعاصرين يستعملون كثيرا او قليلا من العبارات والكلمات العامية لتقوية « الجو المحلي » في القصة . وعلى كل حال ان الاديب الذي يرغب البقاء لادبه لا بد ان يعنى بسلامة اللغة شأن كبار الادباء في كل امة وجيل .

ولنأت الان الى القصص التي ضمتها دفتا المجموعة الاولى : « الحكيم الصيني » وهي ليست قصة بالمعنى المألوف لكي اعتبرها رمزا جميلا يصح ان تفتتح به مجموعة قصصية في جمال عرضها واشراق اسلوبها . وهي تذكرني باسلوب الكاتب الامريكي هندريك ويلم فان لون Van Loon الذي برع بسوق قصص رمزية تخفي مغازي لطيفة . ونلاحظ ان مير بصري اجاد اختيار موقع رمزه في الصين المشهورة بحكمائها منذ عهد كونفوشيوس ولاوتسي وهذان الحكيمان وامثالهما عرفوا بتنقلهم في انحاء البلاد الشاسعة يتبعهم تلاميذهم وباستنباطهم الحكمة من الطبيعة والحيوانات .

وتقسم سائر مضامين المجموعة الى قسمين : القصص بالمعنى الحديث والصور العلمية .

القصص : تجمع هذه القصص سمات منفردة ومشتركة . فاما السمات المشتركة فاهمها :

ـ الكلاسيكية وهي الصفة المحافظة التي يلتزم بها الكاتب سواء كان في ناحية الصياغة واللغة او ناحية الموضوع . فهو يجتنب المواقف الغرامية مثلا وقلما يتطرف ابطاله في العادات والاخلاق . ولعل البيئة المحافظة التي نشأ فيها المؤلف قد اثرت في ادبه فنراه حتى في قصص الغرام القليلة التي ضمتها مجموعته يسرع الى الهرب (قصة الحب الاول) او يختتم المغامرة بطلب الزواج (فتاة التلفون) الخ . وهذه الكلاسيكية تدفع المؤلف الى ارتداء ثوب الواعظ احيانا والاطالة في سرد الاراء والخواطر بلا مبرر (الرجل الذي لم ينتظر الخ .)

وقد قال بعض النقاد في المفاضلة بين الشاعرين الفرنسيين كورنيل وراسين ان الاول يصف الناس كما يجب ان يكونوا بينما الثاني يصفهم كما هم . ولعل مير بصري يجاري الاول في تطلب المثل الاعلى فيرسم لنا اناسا

قلما تجدهم في الحياة الارضية (قصة شاب من شبان العصر ـ نداء الحب ـ ضمان الحياة الخ .)

ـ وحدة الفكرة وقد التزم المؤلف في قصصه بفكرة واحدة تسيطر عليها من مبدأها الى ختامها وتربطها بخيوط خفية لا تكاد تبصرها عين القارىء المدقق . فكل كلمه وكل ايماءة ترمز من بعيد او قريب الى هده الفكره التي تعوم احيانا معام الوافعه او العقده . ولعل شعور الكاتب بسيطره هده الفكره قد جعلته ان يصدر قصصه باقتباس ادبي يشير الى هذه الفكرة ويوضحها ترسيخا لها في الاذهان . وتختلف هذه الفكره بين القدر الغاشم الذي يفتك بفريسته في ساعة تحررها من ربقته (الرجل الذي لم ينتظر) وبين الارض التي تجتذب فلاحا فارقها سنين طويله فلا تتركه حتى يعود اليها (نداء الارض) وهلم جرا .

ـ سعة الافق والبعد عن الصيغه الاقليمية والمحلية فترى الكاتب لا يتقيد في قصصه بزمان او مكان معينين فهده قصة تجري في الصين في العهود الخوالي وتلك قصة تجري في العراق في القرن العشرين . ثم هناك بروكسيل وباريس والادغال الافريقية والطيارة التي تقطع المحيط بين نيويورك ولندن وصراع الثيران في اسبانية او المكسيك ويتوج كل ذلك ما رواه ابن خلكان عن موت بديع الزمان والتعجيل بدفنه ثم افاقته في قبره ... كل تلك مسارح لقصص « رجال وظلال » وهي نادرا ما اجتمعت في صعيد واحد .

ـ ثقافة الكاتب في خدمة القصة فهذه القصص تنم عن سعة ثقافة الكاتب وتعمقه في دراسة مواضيعه وتحليلها حتى يندر ان تجد فيها هفوة في اقل نقطة او اشارة . فحينما تقرا في « قصة شاب من شبان العصر » قوله « وهذا الضجر الذي يقبع في زوايا نفوس كثيرة قد اصبح حقا مرض العصر واثار تعليله كل حيرة » لا بد ان يذهب فكرك الى موسيه في « اعترافات فتى العصر » وحينما يريد التشبيه في قصة « فتاة التلفون » تراه يستطرد الى ذكر قصة « الهولندي الطائر » . وفي قصة « ضمان الحياة » تراه يدقق تدقيق الرجل الاقتصادي في جميع التفاصيل ذات الصلة بالتجارة والتامين على الحياة . ثم انظر الى الطبيب الذي يذهب الى افريقية الاستوائية للانقطاع الى البحث الطبي فالمؤلف يجعله يكتشف مصلا واقيا من مرض النوم وهو مرض افريقي لم يكتشف علاجه (نداء الحب) . وحينما يصف تجوال الطالب الشاب مع رفيقته الحسناء في بروكسيل بدقق فلا يفوته شيء من مناظر العاصمة البلجيكية ومشاهدها ومزاراتها (الحب الاول) . وحيثما يتكلم المؤلف في قصصه تراه يتبسط في تحليل امور يعرفها حق المعرفة سواء كانت سباق الخيل (الحوذي القديم) او صراع الثيران (النقمة) او ماساة الفلاح النازح الى المدينة (نداء الارض) الخ .

ـ العرض الدراماتيكي وهو من اساليب الكاتب التي يتفوق بها حتى كثيرا ما يمسك انفاس القارىء في انتظار النتيجة . ويستعمل الكاتب في هذا العرض فنونا من التشويق فيطيل او يقتضب ببراعة ويجتزىء من البداية او الخاتمة وتكون النتيجة مواقف رائعة كوصف ذهاب صاحبة الدار الى غرفة المستاجر لتحمل له رسالة فتجده قد انتحر (الرجل الذي لم ينتظر) او استقبال العطار وزوجته لابنهما العائد من اوربا وازدرائه لهما وعودتهما الى الدار بحزن وكآبة (ياسر) الخ .

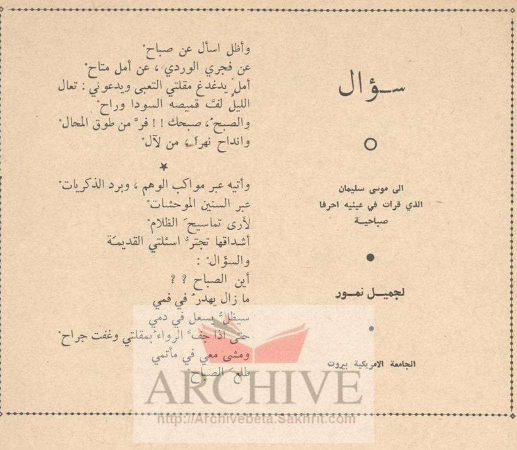
ومن اساليب هذا العرض ايضا « التهويل » وهو تضخيم حوادث تافهة الشأن وجعلها مشاكل عويصة يتخبط فيها بطل القصة ولكن في غير تكليف وتصنع كما في قصة « الوثائق المفقودة » التي تدور حول ضياع اوراق لا قيمة لها وقصة « الحذاء العزيز » التي تتناول ضياع حذاء ... والحقيقة ان « التهويل » فن ادبي يقابل فن السخرية والتهكم وكلما خفي ودق كان اوقع في النفس والطف أثرا ولعله في هاتين القصتين قد بلغ الغاية .

وقد برع قصصينا ايضا في التهكم ـ تلك السخريه المكتومة اللاذعه التي برع فيها الفرنسيون من رابليه وفولتير الى اناتول فرانس واجادها الارلنديون امثال اوسكار وايلد وبرنارد شو انظر مثلا وصف المدير في قصة (نداء الارض) فهو قد استخدم الفراش في دائرته الرسمية صباحا وكلفه بمهامه الخاصة مساء . وهو مع ذلك رجل تقي طيب السريرة والجهرة (لكنه كان يعتقد ان الله قد اختاره ليرزق على يديه نفرا من عباده ... الذين لم يكونوا لولاه يصيبون من القوت ما يسدون به الرمق فكان يشعر غير مراء بفضله ومنه ويحمد الله على ما اتاه من الخير اثناء الليل واطراف النهار . وكان الى ذلك يرى الخدم خليقين ان يعاملوا دائما بالشدة والصرامة ولا يمنحوا من الراتب غير ما يضمن لهم كفاف العيش لئلا يطغوا ويستسلموا الى الترف والخمول) . ... كل ذلك وهذا المدير رجل تقي طيب السريرة والجهرة .

ـ الروح الرومانتيكية وهي روح أثيرية تسود اجواء بعض قصص « رجال وظلال » وخير مثال لها حنين المنفي المناضل عند عودته الى وطنه بعد اعوام طويلة (العودة) والشوق الذي يلازم الحوذي الذي انقلب حارسا في مخزن تجاري الى خيله (الحوذي القديم) فنراه في اخر الامر « يجلس على صندوق ضخم من صناديق البضائع في بعض زوايا المخزن بمأمن من اعين الرقباء فيخرج سوطه البالي يلوح به في الفضاء وتخضل عيناه بالدموع وهما تحدقان الى البعيد وكانهما تبصران شبح فرسيه الحبيبتين المنطلقتين في الافق الرحيب . ثم حنين الفلاح الى الارض (نداء الارض) وعلى حين غرة وقف الفلاح في مسيره كنبي هبط الوحي عليه لقد عرف سر الفرح الذي افعم جوارحه في جلائه عن المدينة . انه لم يكن تخلصا من كابوس الضيق الذي كدر عليه عيشه انه لم يكن استبشاره بالحياة الهنيئة التي يقبل عليها . انه لم يكن انطلاقه في فضاء الله الطلق الفسيح . ان الفرح الذي تطفح به جوانحه انما بعثه الحنين الى الارض الى تلك الارض التي لازمها اباؤه منذ مئات السنين وتعهدوها بسواعدهم وسقوها من عرقهم وشاركوها في نعمائهم وبأسائهم ...

ـ روعة الوصف وللكاتب مهارة في الوصف حتى ليخلق قلمه الجو الذي يريده من جو اسطورة (الحكيم الصيني) وجو البؤس والقلق والحيرة (الرجل الذي لم ينتظر) الى جو الترف والبهجة والربيع وشواطىء البحر (الحب الاول) ... وفي بعض القصص لوحات وصفية رائعة لا يمكن ان تفوت القارىء .

ـ براعة الحوار ـ خذ مثلا المحاورة التلفونية بين شاب وامراة مجهولة (في مستهل قصة فتاة التلفون) « فهذه



سـؤال

الى موسى سليمان
الذي قرات في عينيه احرفا
صباحيـة

لجميـل نمـور

الجامعة الامريكية بيروت

وأظل اسأل عن صباحْ
عن فجري الوردي ، عن أمل متاحْ
أملٍ يدغدغ مقلتي التعبى ويدعوني : تعال
الليلُ لفَّ قميصه السودا وراحْ
والصبحُ ، صبحك ! ! فرَّ من طوق المحالْ
وانداح نهراً ، من لآلْ

✶

وأتيه عبر مواكب الوهم ، وبرد الذكرياتْ
عبر السنين الموحشاتْ
لأرى تماسيحَ الظلامْ
أشداقها تجترُّ اسئلتي القديمَة
والسؤالْ :
أين الصباح ؟ ؟
ما زال يهدرُ في فمي
سيظلُّ يسعل في دمي
حتى اذا جفَّ الرواءُ بمقلتي وغفت جراحْ
ومشى معي في مأتمي
طلعَ الصباحْ

المحاورة تكاد تكون مبارزة كلامية عبر الاسلاك وهي طبيعية في الاخذ والرد لا تكلف فيها . ثم انظر الى مقاطعة الصديق لحقي بين حين واخر حين يروي سفرته بالطيارة (الحذاء العزيز) » فهذه المقاطعة تأتي في موقعها طبيعية وغير نابية وتؤدي الى انزعاج الراوي حتى يكتفي في اخر الامر بالنظر الى صاحبه شزرا والمضي في قصته ...

ـ المغزى او الحكمة ـ نرى الكاتب القصصي لا يفوته المغزى او الحكمة حيث يجد اليهما سبيلا فهو يتحدث عن الحكمة الحقيقية التي تشعر بها النفوس ولا تنطق بهـا الشفاه (الحكيم الصيني) وفلسفة الحظ والقضاء والقدر (الرجل الذي لم ينتظر) والضجر الذي هو « مظهر مـن مظاهر التباين بين حياتنا الروحية والمادية في زمننا الذي طفت فيه عناصر المادة حتى اخلت بروح الانسجام والتوازن في النفوس ... » (قصة شاب من شبان العصر) والجشع والقناعة (ياسر) و « البشرية التي ارتدت فوق عريهـا الهمجي لباسا من الثقافة والاخلاق يعتم تارة ويشف طورا» (نداء الحب) الخ...

ـ لطف الخاتمة ـ وكثير من القصص تنتهي بخاتمة تأتي في بعض الاحيان مفاجئة غير متوقعة ولكنها تعلـق بالذهن وتدعو الى التامل والتفكير . ومن شواهد ذلـك خاتمة قصة « العودة » « ثم اختلطت في ذهنه الافكار فحمل عصاه في يده وكيسه على ظهره وخرج الى البرية شارد اللب زائغ البصر يهيم على وجهه . » وهذه الخاتمة المحيرة « لقد نادته حبيبة القلب من وراء البحار فهل يصم اذنيه ام يلبي النداء ... (نداء الحب) . « فابتسمت السيـدة وقالت » ان ذلك منوط بالفتاة.وهي حاضرة فوجه اليهـا الخطاب (فتاة التلفون) « فاستسلم دون مقاومة وقفز الى النهر » (ضمان الحياة) الخ .

الصور القلمية ـ تلك نظـرات عاجلة في سمـات القصص . اما الصور القلمية فهي لوحات فنية في روعتها واتساقها فهذا « معلم المدرسة » حي امامنا وهذه «العمة» شخصية فذة لا تبرح الذاكرة . ويجب ان نقـرا قطعـة « موت عزيز » لنرى التدرج من الحزن الشديد الـذي يعصف بنا عند وفاة احد اعزائنا حتى نصل بمراحل متوالية الى طور النسيان .

وهكذا نرى مير بصري كاتبا متفننا وهو في فـن القصة قد اضاف ثروة جديدة الى الادب العربي من حيث الموضوع والاسلوب .

نيويـورك — محمـد حمدي النابهـي

فـــراغ

فـراغ بنفسي
بعيد المـدى !
يضجُّ بصدري
عميق الصدى !
كأنـي أجوب
دروب الحيـاة
وحيدا وأفني زماني سدى ! !

★

فـراغ بقلـبي
تناهي اليـه ،
ثقيل الظـلال
شديدا عليـه !
وكنت ألوفـا ،
فلست أرانـي
أفـارق قلبي بـين يديـه !

★

فراغ فـراغ ،
تمادى كشرٍّ ،
يـروع العقول
وينعي الضجر
يُريك الحيـاة
فضاء رهيبا...
تنادت اليه طيوف الذِكَر !

هناك أطلا ...
غد لي وأمس :
فـرحت اراوغ
نحسي وتعسي!
وعدت اداوي
مريضا بنكس !
فكيف يبالي غـريق بحدس ؟

★

وغام الفضاء ،
وماد السكون !
فـزلزل نفسي
دويُّ السنين !
وكانت بقربـي
سفين القرون
فسرت وقلبي وراء السفين !

★

وعـاد لنفسي
فراغ المـدى !
يضجُّ بصدري
عميق الصدى !
فرحت أجوب
دروب الحياة ،
وحيدا وأفني زماني سدى !

رشـاد دارغـوث

مع دانتي في الكوميديا

بقلم عيسى الناعوري

*

عشاق في الجحيم

لم ينس دانتي ، وهو يوزع ارواح البشر الموتى على اقسام العالم الثاني ، ان يجد مكانا في اعماق الجحيم لجماعة من اولئك البشر كانوا في حياتهم على الارض قد دنسوا قدسية الحب ، الحب الذي يقدسه دانتي ، والذي لاجل تخليده وضع كوميديته الالهية باجزائها الثلاثة ، ولاجله عاش حياته كلها .

ولقد يكون هؤلاء الناس في حاجة الى نظرة عطف من دانتي ، وهو الاديب العبقري الفذ ، الذي يقدر ما للعاطفة الجنسية من سيطرة على اعمال الناس ، وما للجمال من فعل في نفوسهم ، ويعرف ان الحب اذا استولى على انسان افقده ـ في كثير من الاحيان ـ سيطرة العقل والارادة ، وجعله يستسلم الى اللذة الجسدية والروحية ، لذة الاستمتاع بالجمال ، والاخلاد الى الرقة والعذوبة والانفاس الدافئة . غير ان دانتي الذي كانت النزعة الدينية الكاثوليكية الصارمة مسيطرة على تفكيره ، لم يكن في وسعه ان يغفر لهم لحظات اللذة العارمة ، وخروجهم عن تقاليد الدين والمجتمع ومثلهما العليا في الاخلاق والسلوك الانساني، وان يكن قد ابدى الكثير من العطف عليهم والرثاء لهم وهو يروي حكاياتهم .

ولسنا نريد ان نقسو على دانتي كثيرا ، فلنعدد هؤلاء الذين زج بهم في جحيمه من ابناء اللذة ، ومهدمي التقاليد الدينية والاجتماعية بشهواتهم الجسدية ، والذين يدعوهم دانتي في النشيد الخامس من الجحيم بـ (خطاة الجسد) او (الشهوانيين) ، وقد ذكر منهم سبعة من المشاهير هم :

١ ـ الملكة سميراميس الاشورية : التي خلفت زوجها (نينوس) على عرش الامبراطورية ، وتقول بعض الروايات انها قد عاشرت ابنها (نينياس) معاشرة الازواج ، حتى قتلها ابنها هذا وتخلص من عارها . ومثل هذا الحب قليل عليه المكان الذي خصصه له دانتي في الجحيم ، في الحلقة الثانية منه ، وقليل عليه العذاب الذي وصفه له اذ جعل اصحابه يدورون في قلب عاصفة مريعة ، وجعل اصواتهم في قلبها اشبه بعواء الكلاب .

٢ ـ الملكة ديدونة الفينيقية : مؤسسة قرطاجنة ، وتقول الروايات انها كانت قد اقسمت بعد وفاة زوجها سيخاوس على ان تحافظ على عفتها وتصون عهده ، ولكنها لم تلبث ان عشقت اينياس الطروادي الذي تقول الاسطورة ان الريح قد حملته الى قرطاجنة ، واستسلمت معه الى شهوات الجسد ، ثم هجرها اينياس فاعماها اليأس ودفعها الى الانتحار .

٣ ـ الملكة كليوباترة المصرية : ويذكر التاريخ انها كانت قد غرقت في فجورها وشهواتها مع يوليوس قيصر اولا ، ثم مع انطونيوس ، واخيرا انتحرت بالسم يأسا كذلك .

٤ ـ الملكة هيلانة اليونانية : تلك التي ثارت لاجلها حرب طويلة الامد بين اليونان الاسبارطيين واهل طروادة بعد ان اختطفها باريدس ، ابن ملك طروادة ، من زوجها ملك اليونان . وتروي الاسطورة ان امراة يونانية قد فتكت بها بعد عودتها الى اليونان انتقاما لزوجها الذي قتل وهو يحارب في طروادة لاجل استردادها . ونجد معها في الجحيم خاطفها باريدس الذي اسلمت اليه جسدها ، ورضيت بان تفر معه من احضان زوجها، وان تسمح باثارة الحرب الطويلة الكثيرة الضحايا والتكاليف بين قومها اليونان واهل طروادة في سبيلها .

٥ ـ اخيل البطل اليوناني : ويروى انه قد عشق بولسينا ، اخت باريدس الطروادي الذي خطف هيلانة ، وان عشقه هذا هو الذي دفعه الى خوض الحرب الطروادية الطويلة الدامية، غير انه لم يلبث ان اغتيل بسبب اقترانه بها.

٦ ـ ترستانوس : وهذا ليس في مثل شهرة زملائه السابقين ويقول شراح الكوميديا الالهية انه من فرسان المائدة المستديرة في العصور الوسطى ، وكان عمه ملكا على كورنوفاليا واسمه مرقص ، وقد عشق ترستانوس زوجة عمه الملك ، واسمها (ايزوتا) ، فلما علم عمه بامرها قتلهما معا بالسم .

٧ ـ فرانشسكا داريميني : ولهذه المراة شهرة خاصة لدى دانتي ، وقد اسهب في الحديث عنها دون بقية زميلاتها ، فهي عمة (جويدونوفيللودا بولنتا) الذي اقام عنده دانتي في مدينة رافنا السنوات الاخيرة من عمره ، وابنة

(جويدو دا بولنتا) المتوفي سنة ١٣١٠ . وكان والدها سيد رافنا، وقدزوجها لسيد داريميني واسمه (جانشوتومالاتيستا)، وكان هذا اعرج وشديد الدمامة، بينما كانت هي رائعة الجمال. وكان لزوجها أخ شاب وسيم جدا اسمه (باولو مالاتيستا) وكانا كثيرا ما يجتمعان معا بحكم وجودهما في اسرة واحدة ، بغير أن يثير اجتماعهما ادنى ريبة في نفس زوجها ، ولكنها كانت مرة تستمع اليه وهو يقرأ لها في خلوتها قصة احد فرسان المائدة المستديرة واسمه (لانشيالوتو) مع الملكة (جينفرا) ، حتى وصل الى تقبيل الملكة للفارس قبلة طويلة ، وعندئذ التقت عينا فرنشيسكا بعيني باولو ، واشتعلت الشهوة في جسديهما ، فلم يملكا الا ان يفعلا ما فعلت الملكة جينفرا وفارسها . ومنذ ذلك الحين استمرت الصلات المحرمة بين باولو — وهو متزوج ووالد لولد وابنة — وزوجة اخيه، وغرقا معا في الفحشاء والفجور بغير حساب وبدون رقيب ،الى ان فاجاهما الزوج مرة في مضجع واحد ، فقتلهما معا .

ويقول دانتي على لسان فرانشسكا وهي تروي له قصتها من خلال العذاب الذي تعانيه هي وعشيقها في الجحيم : « ليس بين جميع الاعذبة ما هو اشد مرارة من تذكر اوقات السعادة من خلال الشقاء » .

ولقد نالت قصة فرانشسكا دا ريميني هذه شهرة غير قليلة في الادب الايطالي بشكل خاص ، فتداولتها اقلام عدد من الادباء ، ومن بين هؤلاء (سيلفيو بيليكو) صاحب كتاب (سجوني) الذي يعتبر بين اشهر المؤلفات الادبية الايطاليـة .

اما دانتي فعلى الرغم من ان هؤلاء الذين اختارهم كانوا من ذوي الشهوات الجسدية المحرمة ، فانه كان يرثي ويرق لحالهم وهو يصف العذاب الذي يقاسونه في الجحيم، فنراه يقول : (وبينما كان رفيقي الحكيم يذكر اسماء النساء القديمات والفرسان ، شعرت باشفاق عظيم عليهم ، واضطراب شديد اليم) . ويعود الى ابداء الالم الشديد بعد ان ينتهي من سرد قصة فرانشسكا وباولو .

ولكن اترى الذين يدنسون قدسية الحب ويعبثون بحرمته يستحقون رثاء او اشفاقا ؟

الا اننا نتعجب كثيرا حينما نبحث في حصة السماء لدى دانتي فلا نجد اثرا للمحبين الذين صانوا الحب من كل رجس ودنس ، على الرغم من انه دعا السماء الثالثة (سماء الزهرة) وهي (فينوس) الهة الحب والجمال ، وام كيوبيد الجميل رامي سهام الحب الى القلوب الرقيقة وجعل تلك السماء مقرا للارواح المحبة التي تظل ترتل فرحة قريرة .

غير ان الحب في هذا المكان ينفلت من معناه الحسي الجسدي ، ليصبح شغفا عاما بكل ما له صلة باعمال الخير والرحمة والانسانية الخالصة . وترافق ارواح المحبين في سماء الزهرة جوقة من الملائكة الابرار ، كما في كل سماء اخرى من السموات العشر التي افرد لها الجزء الثالث من كوميديته الالهية .

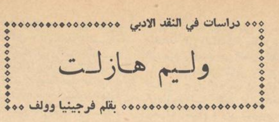
عمان — **عيسى الناعوري**

عاشقة الشمس

لرزوق فرج رزوق

بغداد

يا نجمةً راعشةً بردا
تضيء قلب الليل ، في صمتِ
غداً يغنّي لهبُ الشمسِ
أغنيّة الدفء ، كما شئتِ
ويوقظ النرجس والوردا
ويا محيّا الصخر العاري
يا وجه عمري في مهب الرياحْ
غداً سيهمي فيض أمطار
عليكِ ، والطيرُ يهز الجناحْ
وأنتِ يا عاشقة الشمسِ
يا قصة لم ترو‌ها شهرزادْ
عبر الليالي الألف ، بالامسِ
يا قمري اليقظان ليل الافولْ
يا واحتي الخضراء ، يا نفسي
ماذا أمنيكِ وماذا أقولْ ؟!



ooo دراسات في النقد الادبي

وليم هازلت

بقلم فرجينيا وولف ooo

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة



لا شك في ان احدنا لو التقى هازلت لاحبه ، وفاقا لمبدئه القائل « نحن لا نكاد نكره اي شخص نحبه » غير ان هازلت غدا عليه اكثر من قرن ، وهو هامد الانفاس ، يغط في نومه الطويل ، وربما تأخذ المسالة طورا خاصا ، فكيف يسعنا التعرف عليه جيدا ، حتى نتغلب على مشاعر الكراهية الشخصية والعقلية التي لا تزال كتاباته تثيرها فينا بعنف ؟ ذلك بان هازلت لم يكن واحدا من الكتاب غير الالتزاميين الذين يراوغون في الضباب ويقضون نحبهم مغمورين ، وهذه فضيلة من فضائله الرئيسية . فمقالاته ، بكل تاكيد تمثل نفسه . وهو لا يعرف معنى للتكتم ولا للعار والخجل .

فحين يتحدث الينا ، انما يقول ما يفكر فيه وما يشعر به بدقة وامانة ، اذ كان ـ من بين جميع الناس ، يعي وجوده الخاص ، بوضوح شديد ، فلم يكن يمر يوم واحد ، من غير ان يحس بوخزة او لكزة بسبب المقت او الحسد ، او بدغدغة من الغضب او السرور ، ولن يسعنا المضي في قراءة (ما كتب) طويلا ، حتى نرى انفسنا محملين على الاتصال بشخصية فريدة جدا ، فيها كثير من سوء البيئة ، ورفعة الشان في مجالات الفكر ، وفي هذه الشخصية تجتمع النقائض : نبل ووضاعة ، وانانية توحي بها عاطفة اصيلة تهدف الى خير المجتمع الانساني ، وتؤكد على تحقيق حرياته ، وتثبيت حقوقه .

اما ستار مقالات هازلت فشفاف الى حد ان نظرته تبدو لنا جلية كل الجلاء . فنراه كما رآه كوليردج « غريبا ، منحني الراس ، تحت حاجبيه الثقيلين » ولذا تعجب من دخوله الغرفة في مشيته المراوغة ، وتجنبه النظر الى اي انسان وجها لوجه ، ومصافحته الغريبة للناس ، ونظرته الخبيثة التي يلقيها من زاويته الخاصة . ولذا يقول كوليردج عنه « ان عاداته واخلاقه تكاد تتعاون جميعا على اثارة الاشمئزاز » . ومع هذا ، فمن حين الى حين يلتمع وجهه بالجمال الفكري ، وتغدو اخلاقه وضاءة ، ينيرها العطف والفهم .

ثم اننا لا نمضي في قراءتنا لكتبه الا قليلا حتى نتعود على تسلق سلم ضغائنه وآلامه . وفي ظني انه عاش في الخانات ، فلم يعرف ملاطفة امراة ما . وقد تشاجر مع جميع اصدقائه القدامى ، وربما باستثناء «لام» ومع ذلك فخطيئته الوحيدة كانت تشبثه بمبادئه ، و « عدم رغبته في ان يصبح آلة حكومية » . ومن هنا كان فريسةاضطهاد مسموم ... حتى اشتد خصومه عليه ووصفوه باقبح النعوت .

وقد اخذت هذه الاكاذيب طريقها الى النشر ، فالقي الرعب في قلبه ، فامتنع عن زيارة اصدقائه ، واخذ الناس يغمزون قناته ، ومن هؤلاء خادمته الخاصة ايضا ، فهي لم تتوان عن التعريض به والسخرية منه في قهقهة وضحك .

صحيح ان ذهنه كان اجود الاذهان والمعها ، وقد كتب نثرا بليغا في احسن اسلوب عرفه عصره ، وهذه امور لا يمكن نكرانها او الغض من قدرها ، ولكن أتؤثر هذه الاشياء في النساء ؟ كلا ، لان الكواعب الحسان لا يحترمن الادباء الاعلام ، وكذلك تفعل الخادمات ـ ومن هنا نجد الشكوى والتجهم تواكبان مآسيه ، التي تزعجنا وتثيرنا ومع هذا ، فثمة شيء مستقل هادىء جميل يمسه بحماسة ، وبخاصة حين ينسى نفسه فتاخذه نشوة التامل الحامية التي تصرف نظره الى غير نفسه من اشياء الوجود ، وعندئذ يتهاوى المقت ، ويتحول الى ضرب من الحميا المربكة ، وهذا ما يجعل هازلت على صواب حين يقول : « ان القناع وحده هو الذي نخشاه ونرهبه ، فقد يملك الانسان شيئا من الانسانية ! » وبالاجمال ان الانطباعات التي تكونها عن الناس عن بعد ، او من المظاهر الجزئية او من الحدس ، ما هي الا افكار ساذجة ، غير محبوكة ، لا تشفي غليلا ولا تفيد فتيلا ، اما تلكم الاراء التي نستقيها من التجارب ، فهي وحدها المصيبة ، الاثيرة على القلوب ، بصورة عامة .

وليس من احد يسعه ان يقرأ (ما دبجه) هازلت ويصر على تبني فكرة تافهة ، غير سليمة عنه . كان هذا الانسان ـ من بدئه ـ ثنائي الذهن ، واحدا من ذوي الطبائع المنقسمة ، التي تميل الى مسلكين متناقضين متعارضين . ومن الجدير ملاحظته ان باعثه الاول في التوجيه لم يكن كتابة المقالات ، بل الرسم ودراسة الفلسفة . ففي الفن الصامت البعيد ، يجد الرسام ملجأ تأوي اليه روحه المعذبة وقد اشار بحسد الى سعادة الشيخوخة التي ينعم بها الرسامون ، « واذهانهم التي تتشبث بالحياة الى النهاية » ولبى بكل شوق نداء الطبيعة في دعوتها الى الانطلاق بين الحقول والغابات ، في بهائها الزاهي ، وجمالها الرائق ، فاستخدم ريشته واوراقه ، وادواته لرسم هاتيك المناظر . ومع هذا كان حب التطلع يلذعه فلا يدعه يخلد الى الراحة للتامل في جمال الواقع .

ولما كان صبيا في الرابعة عشرة من عمره سمع والده

القس الموحد يتناقش مع امراة من نحلته عن مدى حدود التسامح الديني ، ومن اجل ذلك قال « ان هذه المناسبة هي التي قررت مصير حياتي ، فكونت في راسي نظاما يتناول شيئين هما الحقوق السياسية والقوانين الفقهية ، ورغبة منه « للاقتناع بطبيعة لاشياء وصلاحها العقلي » لم يكن بد من تناقض هذين المثلين . انه يلزم ان يكون مفكرا اذن ليعبر عن « سبب الاشياء » بعبارات دقيقة واضحة ، وينبغي له ان يصبح رساما يخلط بين الاحمر والازرق ، ويعيش في الهواء الطلق ، متشبثا بحياة حسية عاطفية .

وهنا يقع هازلت في اشد التناقض بين هاتين العاطفتين المتنافرتين ، فيخضع لاحداهما مرة وللاخرى تارة . ولذا نراه يقضي الشهور العديدة في باريس لاستنساخ الرسوم في متحف اللوفر . ثم يعود الى بيته ليعمل بنشاط كي يكتشف صورة (العجوز ذات القبعة) التي فيها يبدو سر عبقرية رامبران ، ولكن الابتكار كان المزية التي طالما افتقدها وبعد عمل مجهد في الرسم يمزق ما بيده بنفور وغضب ، ويأس . وفي الوقت نفسه كان يكتب (مقالة عن مبادىء العمل الانساني) وقد فضلها على جميع كتاباته . ذلك بانه كان في هذه المقالة صريحا صادقا ، لا زركشة في اسلوبه ولا ازدهاء ، دون ان تسيطر عليه رغبة في بعث السرور الى الاخرين ، وارضائهم ، او استخلاص شيء من النشب ، بل كل ما كان يرغب فيه هو اطفاء لواعج شوقه الى الحقيقة والصدق . وطبيعي في هذه الحالة ان يسقط الكتاب الذي ضم هذه المقالة ، الى الحضيض « جنينا ميتا ، بعد ان لفظته المطبعة . »

ثم خابت آماله السياسية ، اذ ان عقيدته في حلول عصر الحرية ، وانقضاء الجور والظلم ، لم تنته الى شيء سوى العبث . اما اصدقاؤه فقد لجأوا الى (الحكومة) ونبذوه في وحدة تعلقه بمبادىء الحرية والاخاء والثورة ، وتركوه في اقلية دائمية تتطلب كثيرا من التأكيد الذاتي لمعاونتها على الصمود والبقاء . هكذا كان انسانا ذا اذواق متباينة ، ومطامح مشوهة ، انسانا كانت سعادته في مقتبل الحياة تتخلف كثيرا عن سنه . فذهنه الذي افل مبكرا ، كان لا يلتفت الى الامام ، بل الى الوراء — الى الحديقة التي لعب فيها طفلا ، الى التلال الزرق في شروبشاير ، والى تلك المناظر التي رآها والامل لما يزل املـه ، والى السلام الذي كان يخيم عليه .

نظر كل ذلك من خلال رسومه وكتبه ، فظن في الحقول والغابات ظنا حسنا ، اذ تصورها تحمل انطباع هدوئه الداخلي ، انه ، اذن عاد الى كتبه التي قرأها ، اي الى روسو وبرك و (رسائل جونيس) . ومن هنا فان الاثر الذي طبع خياله ، في شبابه ، لم يمح ، اذ حالما انقضى عهد شبابه ، لم يعد يقرا من اجل المسرة ، فمسرات هذا العهد ذهبت سريعا ، مع ايامه الزاهية . وبسبب شعوره المرهف بسحر الجنس الاخر ، اضطر الى الزواج ، غير ان احساسه « بشكله المشوه ، الذي يدعو الى السخرية » جعل زواجه تعيسا غير ناجح ، لقد سرته الانسة سارة ستودارت ، حين لقيها في دار آل لام ، وذلك بما عرفت به من دراية ولياقة وحسن ادارة . اما دخلها فقد كان ضئيلا اذ لم يكن كافيا لسد نفقات الحياة الزوجية . فوجد هازلت آجلا أن عليه ألا يمضي ثماني سنين في كتابة ثماني صفحات

بل راى نفسه مجبرا على ان يصبح صحافيا يكتب الموضوعات المختلفة في السياسة والمسرحيات والتعليقات الضافية عن الرسوم والكتب في الحين الملائم والوقت المناسب .

ولم ينقض طويل وقت على الدار التي سكنها في شارع (يورك) حيث كان يقطن ملتون ، حتى اصبحت ارجاؤها مليئة بافكار توائم المقالات . لم يكن هذا البيت ليعرف النظام ، ولم تستطع الراحة ولا اللطف تبرير هذا الارتباك . كانت استار الشبابيك ممزقة والنار خابية في الموقد ، واوقات الطعام مشوشة لا ضابط لها . اما زوجة هازلت البصيرة بالخبايا ، المكثارة من المسير ، المعروفة بشجاعتها ، فلم تكن الخيالات لتتمكن منها فيما له صلة بزوجها . صحيح انه لم يخلص لها ، ولم يمحضها ثقته وحبه ، ولكنها واجهت هذه الحقيقة برزانة معجبة وحكمة

وقد اشارت الى ذلك في مذكراتها بقولها « يقول (تعني هازلت) اني اكرهه وامقت مواهبه » وفي هذا الامر شيء كثير من الحصافة المفتعلة . ثم انتهى الزواج المبهرج نهاية عرجاء . وبعد ان تخلصت سارة من عبء البيت والزوج ، اغـذت السير مشيا على الاقدام في ارجاء سكوتلندة ، في حين اخذ هازلت يطوف من خان الى اخر ، بعد عجزه عن تلمس وسائل الراحة والوصال ، وفي هذا المسعى تحمل عذاب الاهانة ، ومرارة الخيبة ، ولكنه كلما شرب كوبا من القهوة ، وغازل بنتا من بنات صاحب الخان ، كتب مقالات هي — في الواقع — اثمن ما نملكه من كنوز .

ومع هذا ، فهذه المقالات لا تسحر الذهن ولا تبقى برمتها في الذاكرة ، كما هي الحال مع مقالات لام او مونتين ذلك بان هازلت قلما يصل الى ذروة الكمال التي ادركها هذان الكاتبان العظيمان ، و لاتلك الوحدة المنسجمة التي تتمتع بها موضوعاتهما . وربما ان طبيعة هذه القطع الصغيرة تقتضي الوحدة ، والانسجام . لان كيانها الصغير لا يتحمل اي تشقق والا انهدم وزال اثره . ومن هنا ، فان صراحة مقالات مونتين ولام ، وحتى اديسون تنبعث من الرزانة ، ومع شهرة هؤلاء جميعا ، نراهم لا يتحرجون عن البوح بدخيلة انفسهم من غير تستر .

اما الامر بالنسبة الى هازلت ، فهو جد مختلف ، وهذا ما يجعلك تشعر بالانقسام ، والتناقض في احسن كتاباته ، كانك تجد ذهنين يعملان معا ... فهناك — في الدرجة الاولى — ذهن الصبي الذي يرغب في اقناع نفسه بعلة الاشياء — اي ذهن المفكر . ولذا فشخصية المفكر هي التي تختار الموضوع . ومن هنا نرى الكاتب يصر على انتقاء الافكار المجردة ، كالحسد او الانانية ، او السببية اوالخيال . وفي هذا كله نجده مستقل الراي ، قوي الشكيمة ، صعب المراس ، في اكتشافاته مجالي التجريدات وقياسه لطرقاتها الضيقة ، كانه رحالة يتسلق جبلا ، فيرى صعوبة الطريق وسحره .

واذا ما نحن قارنا هذه السفرة الرياضية بما كان يفعله « لام » ، لبدا لنا الاخير وكانه فراشة طائرة بين الازهار والرياحين ، تحط هنا تارة وهناك تارة اخرى ... غير ان كل جملة سطرها هازلت تدفعنا الى امام . وسبب ذلك يعود الى هدفه الظاهر للعيان ، الا اذا تدخلت حادثة معينة في صلب المسالة . وعلى هذا ، فهو يمشي الى ما

يقصده « باسلوب نثري رائع صاف ومناقشة رائعة » وهذا الامر من الصعوبة بمكان ، كما اشار اليه ، لانه اشد عسرا من الكتابة الجميلة . ولا شك في ان هازلت المفكر هو صديق وصاحب يثير الاعجاب ، والمحبة . فهو انسان لا يهاب ولا يرهب ، هو يعرف ذهنه ، ويتكلم عما فيه بقوة وروعة ، ذلك بان قراء الصحف كليلو البصر ، لا يثيرهم شيء ما لم يكن باهرا زاهيا .

ولكن بجنب هازلت المفكر هناك هازلت الفنان ، ذلك الانسان الحساس العاطفي، بما فيه من تودد للالوان والملامس، وهواه (لسارة الماشية) وحبه للمصارعة ، وتعلقه بالعواطف التي تشوش العقل ، ومن هنا نجده يستخف قضاء الوقت في اعمال الفكر في تشريح الاشياء ، في حين ان جسم العالم من الدفء والحرارة بحيث هو في امس الحاجة لان يحتضنه القلب . فمعرفتك سبب الاشياء تعويض مسكين لشعورك بها . وقد احس هازلت بهذه الامور عميق الاحساس كما يفعل الشعراء .

واكثر مقالاته تجريدا لا تنفك من حين الى حين تتلظى بالنار الحامية ، وبخاصة عندما يقوده الحديث الى ذكر الماضي . وعندئذ يضع قلمه المحلل جانبا ، ويأخذ ريشته ليخط عبارة او اثنتين ، اذا ما اثار خياله مشهد ، او كتاب ذكره بقراءته الاولى . فالفقرات المشهورة عن قراءته لكتاب (الحب من اجل الحب) وشربه القهوة من اناء فضي ، ومطالعته (لهلويز الجديدة) واكله للفرخ المسلوق المبرد ، كل هذه الامور معروفة جيدا لدى الجميع ، ولكنها تخرج من مواضعها في النص الاصلي ، حتى انها تدفعنا دفعا من التسلسل المنطقي الى جو من الزهو والبهجة ، وهنا يهبط مفكرنا اللوذعي على اكتافنا طالبا العطف !

فهذا التناقض ، وهذا الشعور بالقوتين المتنافرتين هما اللذان يكدران الصفاء ، ويسببان تشتت بعض مقالات هازلت الرائعة . لانها حين تريد ان تبرهن لنا على شيء لا تقدم لنا غير صورة حسب . اذ نحن ما نكاد نضع ارجلنا على سلم المنطق ، حتى نشاهد صخرة تتحول الى طين ، فنغوص مضطرين الى الركوب في الاوحال ، والماء والازهار ، ونرى امامنا « وجوها صفرا كأنها الخزامى بذوائب ازهار الربيع » ، وغابات (تدرلي) تهمس في اذاننا باصواتها السحرية . ثم نستدعي فجأة ، فاذا بالمفكر الساخر ، ذي الرجولة والدقة يقودنا الى حيث التحليل والتشريح واصدار الاحكام .

واذن ، فنحن ان قارنا هازلت بغيره من الاساتذة العظام ، لتمكنا بسهولة من رؤية التخوم التي تحدده . هو لا يفتح الابواب على مصاريعها لاستدراج التجارب ، كما يفعل مونتين ، بقبوله لكل شيء ومسامحته لكل امر ، ومراقبته للعبة الروح ، بتهكم واعتزال . بل على العكس من ذلك ، فان ذهنه مفتعل على انانيته العنيفة ،وانطباعاته الاولى ، متجمد بما فيه من عقائد لا تعرف التبدل والتحول. وكذلك لم يكن من شأنه التلاعب بشخوص اصدقائه ، وابداعهم من جديد على وفق الخيالات الزاهية كما كان يفعل لام . ذلك بان شخوصه يمكن رؤيتها ، بنظرة جانبية ، مليئة بالحذق والحذر ، وهي تلك النظرة التي تعود القاءها على الناس الاحياء . فهو لا يستخدم اجازة كاتب المقالات للمراوغة والسير من غير هدف ، اذ قيدته انانيته ومعتقداته باصفاد وقت واحد ومكان واحد ووجود واحد .

من هنا ، فنحن لن ننسى ان انكلترا (عصره) كانت في اوائل القرن التاسع عشر ، والحق اننا نشعر بانفسنا وكأننا في مباني (ساوتهامبتن) او في احدى غرف الخان المطلة على المروج او الطريق العالية في (ونترسلو) . لقد كانت له قوة متفوقة تجعلنا كأي من معاصريه . ولكننا كلما امعنا في قراءة المجلدات التي افرغ فيها قوته الهائلة ، ومحبته الضئيلة لعمله ، تبين لنا فساد مقابلته بغيره من كتاب المقالات . فمقالاته ليست معالجات مستقلة ، مكتفية بذاتها، انما هي قطع متناثرة من كتب كبيرة تحاول ان تبحث عن سبب الافعال الانسانية ، او طبيعة المؤسسات البشرية ، ولولا غير الزمان لما اوجزت ، ولولا احترام ذوق الجمهور لما زوقت بصورة باهية والوان زاهية . اما العبارة التي تبدو في شكل ما او في غيره غالب الاحيان فهي تلك التي تشير الى ما يرجو عمله لو ترك حرا طليقا ، وهذه هي : « اني هنا سأحاول التوسع في بحث الموضوع ، وسأقدم الدلائل والاحوال التي قد تطرأ في هذا الشأن . »

ومثل هذا القول لا يحتمل ان يبدو في (مقالات ايليا) او (سير روجر دي كوفرلي) . ويرجع سبب ذلك الى محبته للتحسس باعماق النفسية الانسانية ، حتى يسبر غور الاشياء واسبابها . وهذا ما يجعله مبدعا احسن الابداع في اقتناص العلل الغامضة الكامنة وراء المشاعر والاقوال الاعتيادية ، ومن هنا تجد مطاوي ذهنه مليئة بالبراهين والمجادلات . وهذا ما يحدو بنا الى تصديقه حين يقول بانه امضى عشرين سنة في التفكير الجدي ، متأملا بعنف وقسوة . فهو يتكلم على ما يعرفه بالتجربة حين يهتف قائلا : « كم من الافكار والعواطف المتسلسلة العميقة العنيفة تمر في خلال الذهن بتفكير يوم واحد ، او قراءة يوم من الايام ! »

اما المعتقدات فهي دم حياته ، ولذا تكونت اراؤه قطرة قطرة ، وسنة بعد سنة كأنها (الاستلكتات) ولقد حدها على المسن بالف مشية منفردة ، وجربها بالجدل المتقابل ، كلما جلس في احدى الزوايا ، متأملا ساخرا ، وذلك في خان (ساوتهامبتن) . غير انه لم يغير منها شيئا ، وكيف يفعل ذلك وذهنه ملكه الخاص ، الذي تكون على صورة ما ؟

وهكذا ، مهما يكن التجريد عاريا ـ في (حار وبارد ، او الحسد ، او مسك الحياة ، او التصويري والمثالي (١)) ـ فهو يملك ناصية موضوع محدد للكتابة عنه . ذلك بانه لم يفسح المجال لذهنه بالتراضي ، ولم يثق بموهبته العظيمة في تلوين العبارات ، لئلا تستبد به فتجره الى فكرة ضحلة. واذا ما ظهر شيء من همجيته وسخريته في هجماته على عمله ، حين يكون مرتبك المزاج ، فحتى هذه الحال لا تصرف فكره عن طاحونة شغله ، التي يديرها بجرعات الشاي القوية ، وبما يصرفه من قوة عارمة ، ومع هذا نجده لاذع العبارة قوي الاشارة ، دقيق التلميح .

ففي مقالاته حركة واضطراب ، وحيوية وتناقض ، كأن مواهبه المتباينة هي التي تمده بروح الانتفاض والقلق هو دائما يمقت ويحب ، ويفكر ويتألم . ولم يتمكن قط من مصالحة السلطة ولا من الخروج على احترامه للاراء الحرة . وهكذا ، فان مقالاته ، على ما فيها من اثارة للمشاعر،

---

(١) هذه بعض المقالات التي كتبها هازلت ، المترجم .

تعد في مستوى هو غاية في الرفعة والسمو . ومع جفافها، وخيالها البراق ، واسلوبها الرتيب ، وقوتها المستقيمة في سيرها ، تبعا لانسجامها ، فان هازلت اصر على قوله « ان الفتور وفقدان الشخصية والتفاهة تشكل خطيئة عظيمة لا تغتفر » اذ ذلك يعني ان تكون كاتبا سهل الاسلوب ، يستطيع اي من الناس مطالعة ما تكتب دفعة واحدة .

اما مقالاته ، فلا تكاد تجد واحدة منها ، من غير التوكيد على التفكير ، وبيان لحظات سبر الاغوار ، واختراق الاعماق . ومن هنا فصحائف كتبه مفعمة بالاقوال الجميلة ، والالتفاتات غير المتوقعة والاستقلال الفكري والاصالة الذهنية . دونك نماذج منها « اجدر ذكريات حياتنا بالخلود هو شعرها» ، و « لو عرفت الحقيقة ، لغدا ابعد الناس عن الرضا اقربهم اليه » « سفرة في العربة بين لندن واوكسفورد اصلح فائدة واصدق انباء من قضائك اثني عشر شهرا بين رؤساء تلك الجامعة الشهيرة وتلامذتها » ان هذه الاقوال تسحرنا كثيرا وبغير انقطاع ، وكم يحلو لنا ان نحن سبرناها آجلا .

وبالاضافة الى مقالات هازلت الاعتيادية ، هناك كتاباته النقدية . فهو — في معظم جولاته التي تناولت الادب الانكليزي ، ذلك الذواقة الحكيم ، سواء في تعليقاته ام في محاضراته ، ام في احكامه النيرة الصادقة التي اصدرها على جمهرة الكتب المعروفة . ولذا فنقده يمتاز بالسرعة والجراة والخشونة ، وهي تلك التي انبعثت من الاحوال التي احاطت به حين كان يكتب . ذلك بانه كان مضطرا الى فتح مجالات واسعة ، وايضاح ارائه ، ليس لزمرة من القراء بل لحشد من السامعين ، فما كان يملك من الوقت كان يعده للاشارة الى سوامق الابراج ، وابهى الذرى في مناظر الطبيعة .

وفي اكثر نقداته الاعتباطية للكتب نجد طاقته الفريدة في اقتناصها للاشياء المهمة ، واشارتها الى الفكرة الرئيسية، وهما امران ينساهما كثير من النقاد الفاهمين ، اما النقاد الجبناء فلا يعرفون سبيلا لادراكهما . ومن هنا فهو واحد من النقاد النادري الوجود ، هؤلاء الذين فكروا كثيرا حتى استطاعوا التخلي عن القراءة . صحيح ان هازلت لم يقرا سوى قصيدة واحدة من شعر « دون » ولم ير في اغاني شكسبير ما يمكن ادراكه ، ولم يقرا كتابا بكامله بعد بلوغه الثلاثين ، حتى انه بدا يمقت المطالعة كل المقت ، ولكن هذه الامور ليست ذات اهمية كبيرة . لسبب واحد هوانه حين كان يقرا كان يفعل ذلك بشغف شديد عنيف . وحيث ان واجب الناقد — في نظره — يتركز في « انعكاس الالوان والضياء ، وجسم النتاج وروحه » فقوة الهضم ، وطاقة الاندفاع ، وصدق الاستمتاع . هي الامور التي ينبغي الاهتمام الشديد بها ، خلافا للتطول المتحذلق وطول الدراسة ، ومدى التقصي .

ولذا كان هدفه ينحصر في ايصال اوار حميته الى الاخرين . فهو عندما ينقد مؤلفا معينا ، ينهال عليه بضربات قلمه ، ثم يقابله بغيره من المؤلفين ، وباستخدامه لخياله الحر الطليق ، وتلوينه الزاهي ، يبني كيان الشبح الذي يستخلصه من الكتاب المنقود ، بعد ان توجهت اضواؤه ، ولمعت نجومه في ذهنه . وكذا القصيد فهو يعيد خلقه في عبارات متوهجة كقوله :

« ان عبقا صافيا ينبعث منه (يعني الشعر) كأريج العبقرية ، تلفه غيمة مذهبة الطراز ، او كأن شهد الحكمة طاف عليه كالزبد الشهي . . »ولما كان هازلت المحلل لا يغوص عميقا تحت السطح ، فهذا الخيال التصويري يظل محصورا بين القيود التي تفرضها عليه الحاسة العصبية ، في ارجاء الادب ، وهذا يعني وضع اي من الكتب في النطاقين المكاني والزماني ، على حسب ما يرتأيه الناقد ، وهذه الامور كلها هي التي جددت حماسة هازلت وقررت حدود امكانياتها واتجاهاتها .

ومن هنا نعلم انه يدمغ الكاتب الذي يريد نقده بصبغة معينة ويصفه وصفا خاصا . ومن ذلك قوله عن تشوسر « يتمتع تشوسر بعاطفة عميقة ، تتصل بدخيلة نفسه ، وتستمر ابدا في عنفوانها . » وقوله عن كراب « ان كراب هو الشاعر الوحيد الذي حاول النجاح في حياة التراجيديا الهادئة» ونقده لسكوت لا يعرف شيئا من الوهن، والتبلبل، والزهو الفارغ ، لان حاسة الانصاف والحماسة تتعاونان يدا بيد . واذا كان مثل هذا النقد غير حاسم ، فيه كثير من الالهام ، والبداءة ، والابتعاد عن الكمال والغائية ، فلنا ان نقول بعض الكلمات لهذا الناقد الذي يدفع بالقاريء الى سفرة بعد ان يوري زناد روحه ، ليتمكن من دخول حلبة المخاطرات بنفسه .

واذا احتاج احدنا ليقرا (برك) فما من دافع لفعل ذلك خير من قول هازلت « ان اسلوب برك متشعب الاطراف ، خفيف ، لعوب كالبرق ، متماوج كالافعى » ومرة اخرى ، اذا ما ارتجف احدنا خشية قراءة الكتب المغبرة . فالفقرة الاتي ذكرها زعيمة بالقائنا في وسط التيار الجارف : « من الغبطة والسرور بمكان ان يخلد احدنا الى حكمة القدامى ، بالتمتع باسم رجل عظيم ، وكيف لا وفي مواجهة هذا الاسم شيء من الراحة ، وما اجمل السفر ، والنجاة من ذواتنا لنرافق الكلدانيين والعبرانيين والمصريين ، بين غابات النخيل ذوات السعف الذي يهتز في شيء كثير من السحر ، والجمال التي تسير عبر الالوف من السنين » ففي تلك الصحراء الجافة ، صحراء الدراسة والتعليم ، نستجمع قوة وصبرا ، وضربا غريبا من التعطش الى المعرفة . وهناك نجد ايضا رسوم الاثار القديمة ، وبقايا المدن المدفونة (حيث تعشعش تحتها الافاعي) وحيث الينابيع الباردة ، والبقع الخضر المشمسة ، ودوامات الرياح السافية ، وزئير الاسود الجائعة ، وظلال الاجنحة الملائكية » ولا مشاحة في ان هذه ليست من النقد في شيء قليل او كثير .

انما هي تمثل هازلت جالسا في اريكته ، محدقا في النار ، باثا الخيالات الواحدة تلو الاخرى بعداستخلاصها من الكتب ، انها تعني الحب ، والتمتع بحريات العشاق . انها هازلت نفسه بقضه وقضيضه .

ومن المحتمل ان كاتبنا لن يكتب له الخلود بمحاضراته او سفراته او مؤلفه (حياة نابليون) وكتابه (احاديث نورث كوت) فهذه الجهود ، على ما فيها من قوى مبدعة ، واصالة رائعة ، وبهاء ساطع ، لا تفيده شيئا . فهو سيحيا في مجلد مقالاته ، لما استقطره فيها من قوى شتيتة ، موزعة هنا وهنا . وفي هذه المقالات تجد التجمع الذي الف بين اجزاء روحه المعذبة المركبة ، تجدها وقد تهادنت وتصافت بعد ان حل السلام والصفاء بينها .

الطهر في السماء

•

ليس لفح النار في اللوعة أورى — من حنين نفث السقم وأغرى
لو سبرت القلب في اغواره — لكشفت القلب عن بؤس تعرى
رب ثغر سطعت بسمته — كشعاع الفجر لما ماج تبرا
وله قلب تغشاه الجوى — وبه علقت الاشجان وكرا
تجد الحر على املاقه — يكتم الفقر ولا يعتل فقرا
ينسج الصبر رداء كلما — هتك الضيق له والخطب سترا
يبسم الحر وفي اضلاعه — كان ليل الخطب ليلا مكفهرا
وامض الداء ان تبدي رضا — والاسى يعصف في الاضلاع جمرا

وحيارى نقش البؤس على — خدهم سطرا وفي العينين سطرا
ضيق الظالم من اجوائهم — واصار الافق للآمال قبرا
والاسى لم يبق من اجسامهم — للضنى شيئا سوى عظم مبرى
بعد القرب لهم اخفاقهم — وأصار السهل باع العجز وعرا
لا تسل مبتئسا عن حاله — فلسان الحال لا يخفيك سرا
لك من عين المعنى ناطق — كلما عي عن التبيان حصرا
وترى الدهماء في حيرتهم — كقطيع ضل بعد الاين غمرا
شخصت ابصارهم عالقة — في خفايا الافق يستجلون امرا

سائل الليل فكم من خبر — في فم الليل لمن ينشد خبرا
كل مسكين له معتصم — بالدجى من مقل تنظر شذرا
حجب الليل سواد خلفه — يحجب القبح ويخفي ما تعرى
المساكين الذين انتشروا — دهرهم عارين في الاسواق ظهرا
لبسوا الليل ليخفوا عريهم — وتواروا خلفه يخفون صدرا
فكأن الدهر لم يعر لهم — جسدا أو يرهق الاضلاع وقرا
والحيارى خلف استار الدجى — ذرعوا صدر الدجى كرا وفرا
شخصت ابصارهم عالقة — في خفايا الافق يستجلون امرا

ما وراء الافق للعاني الذي — رصد الافق على الظلماء دهرا
حجب كاللغز في ابهامها — اعيت الناس على الاحقاب طرا
كلما شام الفتى برقا لها — عرض الليل وحال الامن ذعرا
تعب الناس ولم يسعد فتى — بالذي حاول ان يكشف سرا
والحيارى خلف استار الدجى — ذرعوا صدر الدجى كرا وفرا
شخصت ابصارهم عالقة — في خفايا الافق يستجلون امرا

ليت شعري اي سحر في السما — وبها آمالنا ترقص سكرى
اترى والطهر في الارض انطوى — تنشد الارواح في الجوزاء طهرا

دمشق — **عدنان مردم بك**

وربما هذا لم يكن ليحدث من غير رياضة محببة ، هي يوم صاف رائق ، ونزهة بديعة في الحقول والمروج . ذلك بان للجسد نصيبه الخاص الكبير في كل ما دبجه يراع هازلت . وما ان يتطرق الحديث الى هذا الموضوع حتى يحط عليه هاجس عنيف تلقائي ، يجعله يحوم في الاجواء التي يسميها باتمور « الصفاء الساجي ، اللطيف الذي لا يجب احدنا تكديره » . وعندئذ كان ذهنه يعمل بهدوء وسرعة ، من غير الشعور بفعالياته ، فتتهاوى الصفحات من بين انامله دون ان يمسها القلم بالمسح او التصحيح . وكيف لا وفكره يطوف في مجالي السعادة ، بين الكتب والحب ، وبين الماضي وجماله والحاضر وراحته ، والمستقبل وما سيجلبه من شهي المأكول ولطيف المأمول .

بعقوبة ــ العراق — **يوسف عبد المسيح ثروة**

دعني اكن حيوانا

عد الى نفسك
بعض الصفاء

لا أمنّ • اعطيتك لم امنن
تجاهلت عطائي
ولم انتظر
انت تمّن • لم تعطني وتمن
ماذا تمن ؟
تمن عليّ ان اخذت ؟
لماذا تمن ؟

عد الى نفسك
بعض الصفاء

لم أنتقم
أسأت اليّ ولم انتقم
عفوت
كنت قادرا وعفوت
للعفو عفوت
وللحب عفوت
وللانسانية عفوت
وانت انتقمت
انتقمت لما وهنت : أنا وهنت
ماذا نقمت ؟
أتنقم عفوي ؟
لماذا تنتقم ؟

عد الى نفسك
بعض الصفاء

قد أعود
وسأعود
لا استطيع البخل
ولا اعرف الصلف
اعطي اذا عدت
وأتجاهل
ولا أمن
أنسى • نعم أنسى

عد الى نفسك
بعض الصفاء

قد أعود
وسأعود
اذا عدت
ما أدري
أخجل ؟
أنسى ؟
لن أنتقم
أكيد هذا

عد الى نفسك
بعض الصفاء

هل فيّ بلادة ؟
هل فيّ تغفل ؟
هل الانسان الذكي من يحقد
ويكره ويتنكر ؟
فينتقم ويسيء ويمن ؟
هل الانسانية فن اللؤم والبشاعة
دعني أكن حيوانا !

عد الى نفسك
بعض الصفاء

مستشفى بعبدا لبنان

صدرالدين شرف‌الدين

قصة قصيرة

البائع الصغير

بقلم منير بشور

حين يثقل الهم على رؤوس الناس ، منهم من يقصد اماكن التسلية كالملاهي ، ودور السينما ، ومنهم من ياخذ في القراءة او الاستماع الى الموسيقى او مزاولة احدى الفنون الجميلة ، ومنهم من ينام، واما صاحبنا انطوان فكانت وسيلته الفضلى هي ان يتجول في الشوارع يراقب الناس والاشياء وكل ما تقع عليه عيناه . كانت مثل تلك التجولات تخفف عن صدره بعض الاعباء ، اذ تشعره بقربه من الناس وتوفر له تعرفا الى مشاكلهم والى واقع الحياة بشكلها الطبيعي العادي .

في احدى امسية الاحاد من شهر اب الحار ، احس انطوان بحاجة ملحة الى القيام بجولة كعادته ، وتيقن انه ان لم يتفلت من عاله المحصورين كتبه ومشاغله الدراسية ، فسيعتق الهم في قلبه ويتلبد راسه بالمتاعب فقام لتوه عن كرسيه وتوجه الى الباب وخرج منه بهدوء ، ثم وضع يديه في جيبيه وسار في استسلام يتطلع في كل اتجاه دونما قصد معين اذ انه لم يكن وراء غاية او هدف محدد . ما تراه عينه كان يكفيه ، وحيث تقوده رجلاه ، فهو المكان المقصود . الاشياء الكثيرة التي كان يسمعها ، الاشياء الكثيرة التي كان يراها ، كانت تمر في عقله ، وتحرك فيه تموجات من الافكار كما يحرك الحجر حين يرمى في الماء ، تموجات تمتد وتتسع حتى تلتقي بتموجات سواها .

فكر في كل ما كان يرى ، في البائع يقف بباب متجره — « تفضل ! ... » ، في السيارة التي تقرب منه ، وفي سائقها اللق — « عالبرج .. واحد ، عالبرج .. » ، وفي مقعد تكوم في زاوية من زوايا الطريق يمد ساقه المبتورة يستدر بها عطف الناس ، ويمد يده اليمنى يتلقى بها الحسنات . في المراة المسرعة التي تمر به ، تقرع الرصيف بكعبيها، ويهتز ردفاها بحركةمضطربة فكر في كل ما كان يرى ، ولم يحاول ان يستحسن شيئا ولا ان ينفر من شيء ، بل سار بهدوء واستسلام. مر براسه قول الشاعر « بايرون » « ان تهرب من الناس ، لا يعني ان تكرهم .. » وتذكر قصيدة الشاعر العظيمة تلك فراح يتمتم ما يذكر منها ، وغاب عما حوله وهو يتمتم بالشعر ، وكانما قد تحركت في داخله مكامن العاطفة المكبوتة بفعل الشعر فانتشى بحس الحياة الاصيل وراح يصوفر اغنية هادئة ، وهو يمشي ويتفرس بوجوه الناس ، ويتطلع الى الشرفات والى كل ما حوله .

وتحول استسلامه الى احساس بانه سعيد في وجوده في هذه الدنيا وسعيد في مقدرته على السير، وعلى الرؤية ، والسمع والنطق ، واخذته رغبة في ان يتكلم مع انسان ما ، ولم يطل تفتيشه اذ بصر بصبي لا يتجاوز الثانية عشرة يقف وراء عربة يبيع الدره . كان قد اشعل ضوءا شاحبا وضعه الى جانب العربة ، وكان يحمل في يده جريدة طواها طيات متعددة وراح يهوي بها فوق كومة صغيرة من النار كان قد وضع فوقها بعض العرانيس من الدرة . والى جانب النار كان الصبي قد رفع تنكة فوق موقد صغير يسلق بها الدرة . اقترب منه وبادره محييا :

— مرحبا ، يا شب !

— مرحبتين . اؤمر استاذ ..

— بكم الواحد ؟

— المشوي بعشرة ، والمسلوق بعشرين .

ومد الصبي يده الى التنكة واخرج عرنوسا منتفخا :

— تفضل ، استاذ ..

— لا اريده مسلوقا .. احبه مشويا ..

— كما تأمر ، استاذ

ويلقط الصبي عرنوسا مشويا عن النار ويبادره انطوان :

— اتركه قليلا ، لم ينضج بعد — كم عمرك ؟!..

— عشر سنوات ، ما رايك بهذا ؟ انه مشوي جيدا ، ورخصا ؟

— لا باس ... ما اسمك ؟ !

— محمد ..

— من اين ؟

— من بيروت .

هل يكفيك ما تربح من هذا ؟ ويشير بيده الى العربة .

— نشكر الله ، استاذ .. ويرفع الصبي العرنوس عن النار ، ويلفه في ورقة من الدرة، ويقدمه لانطوان، فياخذه من يده ، ولكنه يرغب في ان يستمر بالحديث . كان الصبي قد وضع يديه على حافة العربة ينتظر ثمن الدرة .. فبادره انطوان :

— كم تربح ، يا محمد ؟ ..

ويتململ الصبي ، ثم يجيب .

— يختلف الربح استاذ ، ايام ليرة ، ايام ليرتين ، ايام نصف ، ايام ربع ، يختلف الربح ...

— عظيم ! .. هل انت مسرور بذلك ، فيغمغم الصبي ، وهو يهز براسه ..

— كم لك اخ ؟ محمد ؟

— لماذا ، استاذ ؟

— لاعرف فقط .

— كان لي اثنان واخت ؛ لم يبق منهم احد ..

— اين ذهبوا ؟ ماتوا ؟ ..

— قتلوا .. قتلهم اليهود ، قتلوا ابي ايضا . لم ينج احد سواي وسوى امي ... بعد قليل تبرد الدرة ، استاذ .. دعني ابقيها لك على النار.

لم يجب انطوان ، فلقد فاجاته الحادثة القاسية ، وانتصبت المأساة امام عينيه ... هو فلسطيني ، اذا ؟ وارتد في تفكيره ومشاعره الى فلسطين وماساتها الكبرى ؛ وغص

حلقه فقرب عرنوس الدرة الى فمه وقضم منه قضمتين ؛ وخرجت من بين اسنانه العبارة المتألمة :

ــ كيف ؟ .. كيف حدث ذلك ؟..

ــ هاجموا بيتنا في حيفا ، ودافع والدي ، واخوتي ، واختي ، فقتلهم اليهود بالرصاص ، واختفت اختي .. هكذا تخبرني امي . واخذ الصبي عرنوسا جديدا ونزع عنه قشرته ، وفركه بنشاط ظاهر مذيلا عنه شعر الدرة ، ووضعه فوق النار . كانت المأساة قد بدات بتفاصيلها امام عيني انطوان ، ولم يدر ماذا يقول . غير انه رغب في ان يستمر الصبي في التكلم ، ولم ير وسيلة الا ان يسال ، اي سؤال ..

ــ هل قتلهم اليهود كلهم ؟! ..

ــ اختي ضاعت ، لا احد يعلم اين هي ؛ والبقية قتلوا ..

ــ وكيف نجوت انت وامك ؟

ــ لا اعرف ... تقول لي امي انها هربت بي ، حملتني على صدرها وركضت بي ولحقت ببعض الجيران الاقارب ، ونزحنا جميعنا في نفس اليوم . هل تعرف عمر سرحان ، استاذ ؟ !

ــ كلا .. ما به ؟ ..

ــ لقد تزوجته امي ..

ــ او .. اذن صار لك اب جديد ؟!

ــ نعم استاذ ..

ــ هل تحبه ، يا محمد ؟

ــ من ؟ عمر ؟ والدي ؟

ــ نعم ، والدك .. وغمغم الصبي بما يشبه الموافقة ..

ــ انك ولد طيب ، يا محمد ..

واطرق الصبي براسه يرقب الدرة ، ومد يده يقلب عرنوسا فوق النار . وفي هذه الاثناء مر جمع من الصبايا والشباب وتكوموا حول العربة يرغبون في الشراء . وانجذب انتباه الصبي اليهم ، واسف انطوان لتعكير الجو بينه وبين البائع الصغير ولكنه لم ير مجالا للوقوف أكثر فقضم من الدرة ملء فمه وادار ظهره وسار . ولكن صوت الصبي استوقفه

ــ لم تدفع استاذ ..

وتغرغرت احدى الصبايا بضحكة، تجاهلها واجاب :

ــ اسف يا محمد ، لم انتبه . هذه ربع ليرة .. ومد الصبي يده الى جيبه ليرد البقية ولكنه بادره :

ــ ابقها معك .. لا باس . وادار ظهره وسار ، وبلغه صوت الصبي من وراءه :

ــ ممنونك استاذ ؛ يكثر خيرك ..

وسار انطوان يمضغ الدرة ويرقب الناس . غير ان حديثه مع الصبي البائع ، وقصة المأساة المجسدة في مصيره ، كانت قد فعلت في نفسه فعلا مؤثرا ؛ وشعر انه تعاطف مع حال الصبي وانه احبه . فكر في سر السعادة وفي نسبية القيم . وعاد الى ما قراه عن الفلاسفة والشعراء لعل هذه الخمسة عشر ، العلاوة التي ربحها الصبي ، لعلها تكون مصدر سعادة له لا يقل عن سعادة ذاك الملتحي ، المسترخي في السيارة الحمراء ، الفخمة المكشوفة ، يدور بها شوارع الليل . وتلك الفتاة ، ما الذي اضحكها ؟ ما اغرب اطوار الناس ؟ .. لعله لم يعجبها وقوفي مع الصبي ؟ او انها استخفت شرودي عن الدفع ! ورمى بعرنوس الدرة ارضا بحركة عصبية ..

وفي هذه الاثناء تناهى الى سمعه موسيقى راقصة تاتي من بعيد . فاسرع في خطاه في اتجاه الموسيقى وحين قرب من مصدرها تبين له ان حفلة راقصة كانت تقام في الطابق الثاني من احدى البنايات الفخمة . وكانت الاضواء مشعة والموسيقى تصخب ، وتملأ الليل بارتفاع جميل. لم يكن باستطاعته ان يرى حلبة الرقص ، ولا الراقصين ، بل كل ما كان يقدر ان يراه ؛ بعض الرؤوس المتعانقة وهي تمر بمحاذاة الشرفة في دورانها الراقص . كان الخد على الخد والاكتاف العرايا تلمع تحت الضوء ، وتدور قليلا ؛ ثم تختفي . وقف قليلا يرقب ؛ ثم توجه الى دكان قريب حيث يبقى باستطاعته ان يسمع الموسيقى ؛ وطلب قنينة من الكوكا كولا . رحب به البائع ، وسارع الى وضع القنينة على الطاولة بينما كان يمسحها بيمناه بخرقة بالية متسخة. وقدم له علبة القش فاخذ واحدة منها وجلس يمص الكولا بهدوء وهو يتلفت الى الراقصين بين الحين والحين

في ذلك الجو الموسيقي الجميل عادت الذاكرة به سنين الى الوراء كان لا يزال تلميذا في الاعدادية . تذكر ايامه الحلوة مع ندى ، وروحاته وغدواته في صحبتها ، ايام كانت نهاراتهم ولياليهم كلها حفلة متصلة يرقصون بها على ايقاع قلوب مشبعة بالهناء والسعادة . وتوقفت الموسيقى قليلا ثم عادت بعد ثوان قليلة . وكانت القطعة الجديدة تدعى « لا سين » . في خفقاتها الاولى حركت ، هذه القطعة ، مشاعر انطوان ، وهزت فيه تيارا عاطفيا جارفا ؛ فلقد كانت قطعتهما المفضلة ، وكانت تختلف في رقصها معه هذه عن كل رقصاتها الاخرى . كانت تموج على زنده بالرشاقة واللين ، وكانا يشعران وهما يرقصان انهما امتزجا في كيان واحد يشيل وينهد مع الموسيقى كدفق من الماء فوق صخور متعرجة . تذكر كيف همست مرة في اذنه وهما في قمة النشوى « حبيبي .. انك ترقص الفالس .. بروعة » ؛ وتذكر انفاسها الناعمة فوق كتفيه ، وتوقف عن مص الكولا ومد يده الى كتفيه يتحسس مكان انفاسها . ويضج راسه بالموسيقى وبالذكريات ، وتميل ركبتاه في هذا الاتجاه وذاك ، وتفرغ القنينة ويفطن انه كان يمص الهواء منذ زمن ، فيضع القنينة على الطاولة ، ويقوم على مهل ويدفع ثمنها ثم يغادر المكان ويداه في جيبيه .

ويمشي في الاتجاه المعاكس عائدا صوب البيت ؛ والموسيقى « لاسين » لا تزال تصخب في راسه بينما كانت قد انتهت في الحفلة الراقصة . وفي مسيره الهادىء اخذ يسترجع ايامه الماضية معها وراح يستعيد الاغنية بهمهمة منه هادئة وناعمة وارتعشت في كيانه نشوة لذيذة عندما تذكرها وهي تسكب في اذنيه نجواها الرقيقة

ويسألها : « هل انت سعيدة ، يا حبيبتي ؟ » وتجيبه .. « نعم يا حبيبي ... كم هو رائع رقصك هذه الليلة .. » ويغمغم هو وتتحرك شفتاه يمسح بهما خدها .

كان قد بعد عن الموسيقى مسافة طويلة حينذاك ، غير انه كان لا يزال في دنياه الجميلة الحالمة ، عندما استرعى انتباهه صراخ وسباب من الناحية الثانية في الطريق . وتبين له ان شجارا حادا قد نشب هناك ، وبصر برجل ضخم الجثة ، محلول القميص يصخب بالشتائم والسباب ويهوي بيديه الغليظتين فوق جسم صبي صغير ، عرف بسرعة انه بائع الذرة الفلسطيني المشرد المسكين . واسرع انطوان لنجدته ، وحاول ان يمسك بالرجل الهائج ويفصله عن الصبي ، وكان ان اصابه لطمات ودفشات كثيرة في حين كان الصبي يحاول بكل قدرته ان يتفلت من يدي الرجل والضربات تنزل فوق رقبته وظهره ، وفي كل مكان من جسمه. كان صراخ الصبي واستنجاده يمزق اجواء الليل ، وكان الرجل يشتد في الهياج والسباب كلما تكاثر الناس حوله . وفي خضم المعركة لبط الرجل عربة الذرة ، فانقلبت على الارض واندلق الماء من التنكة وتناثرت العرانيس وقطع النار . وتمكن الناس بعد جهد طويل من تفريق الرجل عن الصبي ، غير انهم لم يتمكنوا من اخماد شتائمه او الحد من هياجه .. « يا ابن الفاجرة .. يا كيت وكذا .. تزوجت امك لاحملك على ظهري .. ساحطم راسك ، وراس امك .. ساهدم البيت فوق راسك .. ساعمل .. ساخرب .. »

وكان الصبي قد اسرع في هذه الاثناء وهو يجهش بالبكاء ويلم العرانيس ، بينما كان الرجل زوج امه ، لا يزال يهدر ويهجم عليه ، ويحول الناس بينه وبين الصبي ، ابن زوجته . كان ذلك المنظر مؤلما لانطوان لدرجة قصوى ولم يعرف كيف يتدبر الامر . اقترب من الرجل يحاول ان يهدئه بالمنطق واللين ، غير ان رائحة الخمر التي كانت تفوح من بين شدقيه وهو يشتم ويهدد ويتوعد ثبطت من عزيمته لمقارعته بالمنطق واللين ، ولكنه لم يتمالك ان اندفع قائلا ..

ـ حرام يا ابا محمد ؛ الصبي ابنك .. وهو طفل ..

ـ لا حرام ، ولا طق حنك ... ماذا تريد انت ؟..

ـ يا سيد عمر ، انت رجل كبير تفهم ...

ـ لا تتدخل بما لا يعنيك ، اعرف شغلي ، هو ابني وانا ابوه .. اعرف شغلي ...

وكانت صدمة لانطوان كلفته كثيرا حتى تمكن من ضبط اعصابه ؛ ولكنه تغلب على حراجة الموقف واتجه صوب الصبي الباكي يحاول ان يهدىء من حاله ، بينما كانت شتائم الرجل تنسحب وراءه كانما اثرت فيه كلماته الهادئة القليلة ؛ بينما راح هو يساعد الصبي في رفع العربة ووضع التنكة فوقها . وانصرف الناس ، واحد بعد الاخر ، كل يعطي تعليقه على الموقف . هذا يسخر وذاك يضحك للحادث ويجد متعة فيه ؛ وذاك يتاسف لقساوة الرجل . وحاول انطوان ان يطيب خاطر الصبي ، واخذ في تهدئة حاله وقال له بهدوء ورقة ..

ـ لا بأس يا محمد ، هو والدك .. بسيطة ..

ولكن الصبي كان يشهق بالبكاء ، ويمسح انفه بكم قميصه بين الحين والاخر ، غير انه استمر في ترتيب عربته ، وراح يلملم بعض الفحمات المبعثرة على الطريق ، ولم يلبث طويلا حتى هدا بكاؤه ، واهتم اولا في اعادة اشعال النار .. فتوجه اليه انطوان قائلا :

ـ هذا عمر سرحان.. يا محمد ؟ !

ونشف الصبي عينيه بظاهر يده ، ومسحهما بكمه ، واجاب بضعف ومذلة :

ـ نعم استاذ ..

ـ بسيطة يا محمد ، انه والدك.. لماذا ضربك ؟

وتمهل الصبي قبل ان يجيب ثم قال :

ـ لانني رفضت ان اعطيه الدراهم

وتجاهل انطوان حال الولد وساله راغبا في الكشف عن ماساة الصبي :

ـ ولماذا رفضت ذلك ؟ انه والدك ، وهو ولي امرك ، والمسؤول عن ادارة البيت ، ولماذا تريد الدراهم ، ان لم يكن للبيت ؟ ! ..

فاجاب الصبي بالم ظاهر :

ـ انه لا يجلب للبيت شيئا ، ولا يهتم الا بالسكر وشرب العرق ؛ يريد الدراهم ليشتري خمرا ويسكر . انه لا يهتم للبيت الا عندما يريد ان يذهب ويضرب امي ويضربني .. انه مصيبة هذا الرجل .. مصيبة علينا جميعا .. لولاه لكنا بالف خير ...

وعادت الدموع تسرح من عيني الصبي دموع هادئة تكشف الستار عن قلب كسير متالم ...واثر مشهد الصبي الباكي لدرجة قصوى ، ولم يدر كيف يعالج الموقف .. وسكت برهة ثم فطن الى امر ، وبادر الصبي :

ـ هل بقي عندك درة ؟ اريدها مسلوقة هذه المرة ..

فاضطرب الصبي وقال : ولكنها وقعت على الارض !

ـ لا بأس ، بامكاننا ان نغسلها بما تبقى بالتنكة من ماء ..

واخذ الصبي يقلب العرانيس الباقية يفتش عن احسنها ، وعندما رضي عن واحد منها غسله بالماء المتبقي في التنكة وقدمه له :

ـ هل يعجبك هذا ؟ استاذ ..

ـ نعم ، انه ممتاز ..

ومد يده الى جيبه واخرج ورقة من فئة الخمس ليرات قدمها للصبي واضطرب محمد هنا ، واخذ يفتش في جيوبه ، ثم قال :

ـ اتسمح لي بدقيقة واحدة ؟.. اذهب وافكها لارد لك البقية ؟ !..

ـ لماذا ؟ .. كم يبقى لي معك ؟..

اربع ليرات وثمانون قرشا .. ليس معي الان سوى هذه العشرة قروش ، اخذها والدي ؛ عمر سرحان ، استاذ .. اخذها كلها ..

ـ لا بأس ، ابقها معك .. اعود في المستقبل اشتري بها درة منك .. انني احب الدرة كثيرا .

ـ بل ابقها معك .. تدفع لـي عندما تمر من هنا ..

وادار انطوان ظهره وسار مجيبا البائع الصغير :

ـ كلا .. كلا .. ابقها معك .. استرجع البقية في المستقبل ..

وسمع من وراءه صوت الصبي وهو يقول :

ـ ممنونك استاذ .. يكتر خيرك .. ممنونك .. ممنونك ..

منير بشور   الجامعة الامريكية بيروت

قصة تمثيلية

بدأت تكون انسانا

بقلم محمد حاج حسين

(حجرة في المستشفى . طفلة في العاشرة ، تغط في نومة عميقة . الام جالسة بقربها ، تراقبها باهتمام ، وتتمتم بصلاة خاشعة ، تضرع الى الله ، لينقذ ابنتها ، ممرضة تفتح الباب برفق ، وتقول لاب الطفلة : تفضل .

يدخل الاب ، وهو في الاربعين من عمره ، قد وخطه الشيب ، ولكنه لا يزال يحتفظ بحيوية الشباب . يلاحظ وجود مطلقته امام سرير ابنته ، فيتردد ويهم بالرجوع ، ولكنه يدخل اخيرا ويلقي نظرة خاطفة على زوجه السابقة ، ثم يجلس بقرب ابنته المريضة ، يتأملها بحب وحنان) .

الاب : هل هي نائمة منذ مدة طويلة ؟

الام : وماذا يعنيك ؟

الاب : سرعان ما تنسين انها حشاشتي ، بكر اولادي .

الام : لم انس بعد .

الاب : لن تستطيعي ان تنتزعيها مني .

الام : سنرى .

الاب : والان ؟

الام : ماذا تريد ؟

الاب : اصحيح انها تناديني باستمرار ؟

الام : ومن قال لك هذا ؟

الاب : الطبيب .

الام : انها مريضة منذ عشرة ايام ، ... واليوم تتذكرها وتعودها .

الاب : لم تخبريني بمرضها .

الام : الحق معك .. لم اخبرك ، وبالتالي لم اخبرك ؟ وانت الذي لفظتها مع اخوتها .

الاب : لم الفظ اولادي، وساعيدهم الى بيتي .

الام : لتضطهدهم زوجك الجديدة

الاب : بالعكس . ستكون لهم الام، التي تزقهم الحب والحنان .

الام : يستحيل ان اسلمهم لك .

الاب : القانون معي .

الام : الرحمة فوق القانون .

الاب : القانون لا يعرف الرحمة .

الام : لا يستطيع القانون ، ان ينتزع الاطفال من امهم ، ليسلمهم الى زوجة ابيهم .

الاب : سترين .

الام : سنرى .

(في هذه الاونة ، يدخل الطبيب ، فينهضان ويصافحانه .)

الطبيب : ارجو ان تتفضلا معي الى مكتبي ، فلدي حديث هام يخصكما .

الاب : امرك يا دكتور .

(يجلس الطبيب وراء مكتبه ، ويستقر الاب والام على مقعدين متجاورين ، ويشعل لفيفة ويقدم اخرى للاب) .

الطبيب : الان نستطيع ان نتكلم بهدوء .

الاب : تفضل يا سيدي .

الطبيب : هل تزوجت ؟

الاب : كلا .. ولكنني في سبيل اعداد زواجي .

الطبيب : الحمد لله .

الاب : ماذا تقصد ؟

الطبيب : اقصد انك لن تتزوج.

الاب : ارجو منك الا تتدخل بمسالة شخصية .

الام : يجب ان يتزوج ، لتعرف هذه المحترمة شراسته .

الاب : انك وقحة .

الام : لم ار اوقح منك .

الطبيب : ارجوكما . لم اجمعكما لتتهاترا .

الاب : ماذا تريد ؟

الطبيب : اريد ان ترجع زوجك الى عصمتك .

الاب : (متهكما) امرك .

الام : لن اعود الى عصمته ، ولو مزقتني اربا .

الاب : ومن قال لك انني ارغب في عودتك الى عصمتي ؟

الطبيب : بل ستعودان .

الاب : يستحيل . انني اعبد خطيبتي ، التي ستغمرني بالسعادة التي حرمتها .

الام : بل ستغمرك بالشقاء .

الاب : اخرسي .

الام : تصور يا دكتور ، انه في مثل سنه الوقور ، ينصب شباكه ، ليوقع به فتاة في الثامنة عشرة من عمرها ، فتنجذب اليه ، مندفعة ببريق مركزه المرموق ، وماله الكثير ، ثم يطلق امراته ويشرد اولاده لاجلها .. فكيف ستكون النتيجة ؟

الاب : النتيجة .. سعادة عظيمة.

الطبيب : والان ؟

الاب : ماذا تبغي ؟

الطبيب : ان تعيد زوجك الى عصمتك .

الاب : يستحيل .

الام : وانا ارفض بشدة .

الطبيب : انت رجل مثقف ، ولك مركزك في المجتمع ، فيجب ان تكبح جماع عواطفك .

الاب : (ثائرا) باي حق تكلمني بهذه اللهجة ؟

الطبيب : في مثل سنك ، يجب الا تنقاد لنداء الهوى. يجب ان تحكم عقلك .

الاب : سانسحب محتجا .

الطبيب : كلا .. لن تنسحب .

الاب : ارجوك ان تبتعد عن الامور الشخصية .

الطبيب : لماذا طلقت زوجتك ؟ الم تكن نعم الزوجة ؟

الاب : لا انكر فضائلها ، ولكنني مللتها .

الام : اما انت ، فليس عندك اية فضيلة .

الاب : فضيلة او غير فضيلة .. المهم انني تخلصت منك .
الام : انا السعيدة لانني..
الطبيب (مقاطعا) : قلت لكما لا اريد المهاترة .
الاب : انها تجرح كرامتي .
الطبيب : المهم عندي ان تعود المياه بينكما الى صفائها .
الاب : لقد طلقتها وانتهت المسالة.
الطبيب : لم تنته بعد .
الاب : انتهت .
الطبيب : المصلحة تقضي بعودتكما الى بعضكما .
الاب : انا ادرى بمصلحتي .
الام : مصلحتي ان اطلقه .
الطبيب : والطفلة البريئة ؟..
الاب : ما علاقتها بهذا ؟
الطبيب : انها مريضة .
الاب : كل انسان يمرض ، ثم يشفى .
الطبيب : الا ترحمانها ؟
الام : افديها بحياتي .
الاب : وانا بدوري افديها بحياتي.
الام : انك لا تملك ذرة من الحب لها .
الاب : انها بضعة مني ، وانا مستعد ان اضحي بحياتي في سبيلها .
الام : لو كنت تملك ذرة ن الحب لها لما شردتها .
الاب : ومن قال لك انني شردتها ؟ ساعيدها الي ، وساتعهدها وساربيها خير تربية .
الام (متهكمة) : تحت رعاية زوجك الحنون .
الاب : سترين انها ستكون لها خيرا منك .
الام (ضاحكة) : بالطبع .
الاب : وستشعر انها ، لم تخسر كثيرا ، بانسلاخها عنك .
الام (تخاطب الطبيب) : لو رايت منظرها المؤلم ، وهي تتشبث بعنق ابيها ، وتتوسل اليه ، ان لا ينفصل عني ، لبكيت ، ولكنه اب قد من صخر ، وضحى بابنته لاجل شهوته.
(الاب يهم بالكلام ، فيمنعه الطبيب باشارة من يده) .
الطبيب : لننس الماضي . امامنا المستقبل ، فيجب ان يكون وضيئا .
الاب : معك حق .. لقد دفنا الماضي .
الطبيب : ساصارحكما بالحقيقة. ان طفلتكما مصابة بانهيار عصبي ، ولن تشفى الا بحالة واحدة .
الام : ما هذه الحالة ؟
الاب : اضحي بحياتي لانقذها .
الطبيب : لن نضحي بحياتك ، وكل ما اطلبه ان تضحي بانانيتك .
الاب : ماذا تعني ؟
الطبيب : ان زواجك الجديد ، لا معنى له .. وغدا يتسرب اليك الملل ، من هذه الزوجة فتبحث عن غيرها .
الاب : ولكنني احبها .
الطبيب : الم تتزوج مطلقتك عن حب ؟
الاب : بالتاكيد .
الطبيب : ومع هذا طلقتها .
الاب : لانني مللتها .
الطبيب : وستمل الثانية ، وربما الثالثة والرابعة .. انك لا تزال مراهقا ، لم تنضج عاطفيا .
الاب : ما هذا يا دكتور ؟ اني احتج على اهانتك لي .
الطبيب : معاذ الله ، ان يخطر ببالي هذا .. ولكنني اقوم بواجبي نحو مريضتي .
الاب : واجبك لا يحتم عليك اهانتي .
الطبيب : فسر كلامي بما تريد .. بحب ان اصارحكما .. فاذا كنتما تحرصان على حياة طفلتكما ، فيجب ان تعودا الى حياتكما الزوجية .
الاب : ما علاقة مرض ابنتنا بحياتنا الزوجية ؟
الطبيب : ان ابنتك مصابة بانهيار عصبي ، ودرست حالتها مع زملائي ، فاجمعوا على ان لا شفاء لها الا اذا عاشت معكما ، انتما الاثنين : تزقانها الحنان وترامانها الحب ، والا فالنهاية امامها واضحة.
الام : ارجوك يا دكتور ان تنقذها.
الطبيب : والان ايها الاب الكريم ما رايك ؟
الاب : هل انت متاكد من هذا ؟
الطبيب (يتناول تقرير الاطباء من درج المكتب ، ويقدمه للاب ، فيلقي عليه نظرة ثم يعيده للطبيب) .
الاب : كلامك صحيح .
الطبيب : لم اجمعكما لالهو معكما.. لقد احببت هذه الطفلة الجميلة ، الذكية القلب ، المرهفة الحساسة ، فرايت من واجبي ان اصارحكما بالحقيقة .
الاب : شكرا يا دكتور .
الطبيب : انضحي بابنتك في سبيل زوجك الجديدة ؟
الاب : معاذ الله .
الطبيب : الحب تضحية ، فاذا كنت تحب ابنتك ، فضحي بانانيتك لاجلها . ان بسمة بريئة تطفو على ثغرها تبز كل ما في نساء العالم من جمال . اني اب . وتاكد انني اضحي بكل الدنيا ، في سبيل ابتسامة من طفلتي .

الاب : (معتمدا راسه بين يديه يفكر) .
الام (تذرف الدمع) .
الطبيب : ما لكما ؟ تحدثا .
الام (تمسح دمعها) اتوسل اليك يا سيدي ، ان تنقذ ابنتي .
الاب : اني اضحي بثروتي لانقاذ ابنتي .
الطبيب (عابسا) يبدو انكما تركبان راسيكما .. الطفلة ستموت ، ان لم تعودا زوجين محبين ، تظللانها بعطفكما .
الاب : سافعل كل شيء لانقاذ ابنتي .
الام : وانا بدوري ، اسامحه لاجل ابنتي .
الطبيب : قلت لكما : ادفنا الماضي ، وتطلعا الى المستقبل .
الاب (يضرب جبهته بيده) لن اتزوج يا دكتور .
الطبيب : انت حر .
الاب : لم تفهمني .. اقصد انني ساعيد الى عصمتي ام اولادي .
الطبيب (ضاحكا) الان بدات ان تكون انسانا .
الام : وانا ساعود الى زوجي ، لاجل طفلتي .
الطبيب : تصافحا .
يتقدم الاب ، فيصافح مطلقته بحرارة ويطبع على وجنتها قبلة ويقول : سامحيني . لقد اخطات . كانت على عيني غشاوة ، وقد انزاحت . سنعود الى بعضنا ، ولن ننفصل حتى الموت .
الطبيب (تتهلل قسمات وجهه بالسعادة) زوجان محبان بنعمة الله الى الابد .

القاهـرة **محمد حاج حسين**

انت لي

*

الى سمراء

•

لالياس مسوح

•

مرمريتا ـ سوريا

*

سمراء .. يا حلم الدروب الغافيات
على السفوح
لي انت لي..رف الحمام على السطوح
رقص الهزار على الجذوع
أو رقصة القلب الاسير
لدى الضلوع ،
لي أنت لي
سر الفراش الميت من وهج الشموع
صوت الرعاة المصبحين
على التلال
الذاهبين
يتبادلون الصبح من شفة الجمال
ونسائم الفجر الندية والظلال

البائعين
وبدون مال
دنيا المدينة والملاهي.. والضجيج المستديم
مزمارهم .. زاد لهم ،
يكفي من الدنيا نديم
فحياتهم، محدودة، في قلب مملكةالخراف
في الحب .. في السفح النضير
والمرج يدرزه الحرير
وجدائل السرو الظراف

★

سمراء ما هذي التلال الخضر
ما هذي الظباء
والسنديانات الطموحة للسماء
وعرائش العنب المعلق في الفضاء
متلألئا .. يهتز غنجا.. في أراجيح الهواء
في الصبح او عند المساء
غير الذي أصبو ويهواه جناني
وتبوح فيه
عينان كلهما معاني
عينان ما لهما نهاية
عينان لحظهما حكاية
عيناك يا سمرائي
يا حلوتي ورجائي

★

لي أنت الهامي ، واحلام الشباب
على الجفون
لي أنت لي ..
هدبا ودمعا حائرا بين العيون
لي أنت وهج الشمس
في برد الصقيع
واشعة القمر الحنونة
في الربيـع
ومنابع الحب الينيع

قصـــة قصـيرة

بقلم عـادل الاعـور

البخيل بعطاء اكثر

قالت له ، وفي عينيها حلم الفضيحة : اهواك .
وصمت هو . صمت قهقهة . فتركته ، بعد ثلاثة اشهر ، مع ذكريات .

✷

اتهمته برجولته ، بعد ليلة ظلام . اتهمته بنقص في التكوين ، لكنه ابتسم ، بسخرية ، من وراء نظارات سوداء .

وتتهمه من جديد . وتستثير غيرته بكلمات تنبح بالاغراء ، بالاثارة . الا انه ابى ان يستجيب .

ويضرب بيده على جيبه . الثلاثماية والخمس والعشرون ليرة ، ما قيمتها تتكدس بوقاحة ، وتتهم جيبه بالسمنة ؟

الليرات الثلاثماية و... معاش مغر . وهو في انتفاضته على وضعه الزري ، معلم بسيط في مدرسة متواضعة ، ما نسي ان الليرات مهمة غير ان تطوى ويقفل عليها في درج طاولة .

الف حساب يحسب لليرة الفارة من بين يديه . يوم كان معلما لا يتجاوز معاشه المئة والخمسين . اما الان وهو في وظيفة مرموقة تدر عليه راتبا لا بأس به ، ما عاد يتخوف من ان يدعو اصدقاءه الى مقهى فيجلسون كلسوص يتربصون بفريسة . فما تمر مليحه الا وتطاولوا .

وينطوي على نفسه ، على ذاته البخيلة ، يفلسف تصرفاته .

لا يحسن به ، كاستاذ ، ان يترك للسانه رمي كلام بذيء . حتى ولا ان يتطاول الى ابعد .

وتأفف . اذ كاد ينزلق على قشرة بطيخ . الا انه استحلى ان توقعه فينقل الى مستشفى ... الى تابوت ، الى اي مكان يبعد به عن مركز عمله .

واستحلى غير . استحلى ، تذكر ، ان يلتهم مع غدائه الذي يقصد اليه الان ، بعض قطع من بطيخ مثلج ، مع زجاجات جعة ، مع اي اخر ، ينسيه الغداء الجاف الملعون الطعم ، الروتيني النكهة ، الذي تعود ان يزدرده في مطعم خلفي .

وبصق . فرضابه يجف في بلعومه وشفتاه ترتجفان . اما كان له الا يفعل ؛ الا يفرز وسخه في طريق عام!

★ ★ ★

ــ من قال لها ان تفعل ؟

هذا ما يعذبه . ويغرز الشوكة بعصبية في شرائح اللحم المتكومة في صحن امامه ، ويمعن فيها تمزيقا بسكين . اما يتمزق هو ؟

من طالبها بالبوح ؟ من ؟

ليتها بقيت بعيدة ، فما تنتصب في طريقه تعرض عليه بضاعتها . المراة تعيش في صدره حلما كالقهقهة ، كالندى الرطيب . هو الذي يدافع عنها في شتى المناسبات فكم اتهم بالميوعة ، من اصدقائه ، لانه ابدا عن الانثى يدافع .

في مدرسته ، بين خلطائه ، معروف بانه زاهد بمغامرات . ويوم خرج الى الحياة بضجة . تفوق بنجاح . وشق دربه الى قلوب الصبايا ، بخطاب من على منبر مدرسته الثانوية ، اخذن يثرثرن فيما بينهن . فما تذكر واحدة انه ابتسم لها ، او رمى في اذنها كلمة غزل . حتى بنات صفه اكبرن فيه هذه الرزانة ، وان لم يوفرنه من تهكم . اما يحس ؟ اما من قلب بين جوانحه ؟

وانتهى اليه كثيرا مثل هذا الحديث ، فاشاح .

هو لا ينكر انه يود ان يحب . واحدة يعطيها كل قلبه ، كل ثراء ذاته . اما ان يتسلى مع هذه ويسخر من تلك ، فطبيعته تشرئب .

ويحلق في الناس بلا تطلع . فهو صامت النظر . لا يهمه الا ان ينفذ الى ذات واحدة ، ما لقيها بعد .

ويتساءل : اوليس من الكبرياء ، بحق ، الا يلقى واحدة تستحق المنحة ؟ فيفتح امامها باب قلبه ؟ ويدخلها الى ذاته الحميمة ؟

وفي المصيف الذي اعتاد ان يرتادفي قريته . اما اتهم بالانغلاق ، بالتكبر ، فما يحاكي الناس الا بصباح يرمى ومساء يرد ؟

بينه وبين قلبه ، حتى واصدقائه ، يعترف بانه بخيل . فما يرتوي من ذاته التي يهز فيها اوتارا . التي تـ ـغله فيحاول ان يرتفع بها عن حقارات .

اهي كاذبة ؟ اذ تتهمه .

ويرى للامر وجها اخر : لا . بالشرف ما هي بكاذبة .

نزلت عليه من موضع ما كان يتوقع ان تسقط منه . جاءت تصطاف عند جاره بالغرفة الوحيدة . جربت ان تجذبه اليها من المرة الاولى ، التقيا في سيارة ، فجاذبها طرفا من حديث مبتور وقد عرفته عليها فتاة تعرفه وتعرفها .

ويمر اسبوع عليها في بيت جاره المفتوح على بابه هو . فما رمى صباحا .

حاولت ان تجذبه واستطاعت . اذ اخبرت انه متكبر . والمراة منطبيعتها ، تحب ان تفتتح دروبا غير ذات اقدام .

★ ★ ★

ــ مرحبا يا جار .

ويكاد لا يرد . الا انه من العيب ان يصرفها بصمت ، فرد التحية بابتسامة .

وتطلب اليه ذات سهرة ان يقوما ، هما والحضور ، بمشوار ، فسايرها .

اما ان تاتي مرة ، وفي عينيها حلم الفضيحة ، تريد ان تسر اليه خبرا ، ما توقع ...

ويعذبه ان قد هزت في اعماقه

تيارا يتململ منذ بعيد . تيار يستجمع القوى ، ويستطلع المنافذ ، ويندفع .

ولما لا يحب ؟ لا يشتهي على الاقل ؟ هذه الدعوة الصريحه من امراة ، او ليس بلا عينين من يردها ؟ او ليس بلا قلب من يفعل ؟

عرف ان زوجها جاء بها الى هذه القرية ، ليتفرغ الى بحث عن احريات فلم يعد يحبها .

وتتعذب هي ، اذ اسرت اليه هذا ، وتتمزق .

ويذكر دمعتيها الاثنتين . دمعتان فقط جمدتا في الحدقتين اللامعتي سواد البؤبؤ الفضاح .

لما لا يحب ؟ ويمزقه احتمال ان تكون واحدة تتسلى .

او ليس من المعقول انها باحثة عن الام جديدة ، تستمر بها الى السم جديد ؟

(ويغمغم بجواب غير صريح) .

ما تعود مثل هذا . توقع ان يبوح هو لواحدة ، ان يفضح لها نوازع قلبه . اما ان تاتي هي بهذا ؟..

امتزوجة يضاجعها قلبه ؟ ما اراد لقلبه هذا التعدي .

وتتكرر السهرات . وهي منتظرة منه جوابا . الا انه استمر في التجاهل ، استمر في العذاب ، استمر في التمزق .

امتزوجة يعتدي على حرمة الزوجة فيها ؟ لا يحتمل .

يريد ان يفهم اهي تحبه ، لشخصيته ، بلا عبث سجاير وفوارير تفوح ؛ ام رات فيه سلما ترقى به الى .

جسدها وحده لا يمكن ان يقبل به . وقلبها ، الدمي الممزق ، هل من موضع له فيه ؟

راودها على قلبها في احاديثه . وقد اشعرها انه لا يرتمي على جسد ، لا يتهالك على كتل لحم مهما برزت مغرية الفاتن . يريد قلبا يهدهده وصدرا يحتمي به .

وتغرورق عيناها بدموع . انه يعذبها بوقوفه امامها بلا تجاوب ، بلا تهالك . اما اعجبته ؟ اما راقت لعينيه ؟

ويصمد امام مومسات الاغراء فيها فحاجته الى امراة تشعره ان لها ذاتا تفهم ، وتشارك ، وتتناغم . يريد منها ان تعطيه عن شبه وعي ، لا لان فرضا ان تعطي .

اكيد انها تلهو . والا لما هذه الاشاحة منذ ايام . لما هذا الانقطاع الذي طال ؟ السبب معقول ؟

ويتعذب .

هي لا تريده حبيبا يفهمها ، ويكشف لها عن صميمه . فلم تبلغ مستوى هذا . انها ابعد من ان تساعده على الا يتعذب . ويخجل .

او يترك للضعف فيه ان يستيقظ هو الذي باع نفسه لمعنى عظيم يريد ان يبلوره ، ان يجسده عملا ينطق ؟

وسالته ، بهمس ، مرة : — اوتحبني ؟

لا . لم يقل لها بلى يحبها . ولو على سبيل المداهنة . فهو يابى ان يعلن ما لا يحس . ما لا يهزه .

واحس انها تنأى عنه ، رغم اقترابها منه ، اذ قال .

لعل من بارز الضعف فيه انه لا يعرف ان يماري ؛ لا يعرف ان يساير ؛ بل هو جريء ببرائه حتى الوقاحة .

حدس انها ستبعد عنه ، ستقاطعه هذه الترابية الاهتمامات . هذه البخيلة بعطاء قليل .

وتمر به . وابتسامة اغراء على شفتيها . فتستيقظ في جسده شهوة تضج . ويسخر منها اذ تتهمه برجولته .

حتى ذكرت له ، بوقاحة ، انها تشك في ان يكون سوي التكوين .

ويقهقه بصمت . ما همه ان كانت لا تعرف ان له ارادة يعرف كيف يوجهها . يعرف كيف يضبط اعصابه ، فلا تستثيرها « تنورة » عابرة .

ظنت ان قد تقربه منها . اذ تذكره بهذا . او انها حاولت ان تستثير الرجولة الكامنة فيه . وما عرفت انها تصرفه بهذا تماما عن جسدها . عنها كلها .

* * *

لما لا يقربها مبرهنا ان له قدرة على الاعتصار ، وعلى اكثر من الاعتصار ؟

(الذي يعذبه ان ليست تفهمه . فكلما ازداد اتصالا بها ازداد غربة عنها . . .)

ويتهم نفسه : لن يسمح بالتدني . ولتقل ما شاءت . لتلصق به ما تريد .

انه سيقاوم . لن يضعف . لن يسقط تحت قدميها . فهو يرفض ان ينظر الى الحياة من بين مغريات امراة .

ايختلي بها ويبرر لها تصرفاته ؟ ايقول لها ان امورا كثيرة في شخصيتها لا تعجبه ؟

ايخبرها انه يحتقر فيها الجسد كشهوة ، ويحترمه فيها ان ساندته بعروق قلبها ، ان مدته بشيء من الصميم ؟

لا . ما همه ان لم تفهمه . اما يحاول ان يخرجها من ذاته ، من اهتمامه ، ويبصقها ؟

لن يبرر لها تصرفاته . لا . لن يفعل . انه لا يود التبرير . يعمل هذا استجابة لحافز نفسي رهيب . لانه ، قد يكون ، يريد الا يضعف .

او يخبرها ، ايضا ، انها شغلته . شغلت زاوية الفراغ في قلبه ؟

يود لو تقدر الصراحة ، لو تفهمها ، اذن لوافاها في الموعد .

عادل الاعور

شعر زكي مبارك

بقلم فاضل خلف

●

مر بنا شيء (١) عن شاعرية زكي مبارك وبينا انه شاعر بالطبع والسليقة ، وقد نظم الشعر وتغنى به وهو في ربيع الحياة وارسل الحانه عذبة تتهادى في محارب الحب والجمال منذ ان رزق القدرة على نظم الشعر ، واشعاره في الغالب الاعم نظمها في الغزل والتشبب ، ولا غرابة في ذلك فقد فطرعلى الحب ، واستهواه الجمال وهو في مطلع الشباب في مسقط راسه « سنتريس » .

صدر ديوانه الاول وفيه مقطوعات من الشعر والغناء وقد استقبله النقاد استقبالا حافلا ، ورحبت به الصحافة العربية اجمل ترحيب وقالت عنه « مجلة ابولو » الشعرية التي كان يصدرها الدكتور احمد زكي ابو شادي :

« الدكتور زكي مبارك شاعر غنائي بطبعه ، فلفظه موسيقي كصوته المعروف لخلانه . وشعره يحوم حول العاطفة ويقتات بهـا . سواء أكانت عاطفية جنسية أم وطنية . ولو عبر شاعرنا عن عاطفته الوطنية نظما بدل حصرها في نثره الفني لكان لنا منه ذخيرة شعرية قيمة على مدى الزمن . وشعر ديوانه صور شتى من عواطفه وخواطره هي مرآة نفسيته ونظراته الى الحياة ، وهو أمين بفطرته في تصوير نفسيته بهذا الشعر جميعه ، وكفى بهذا الصدق المطبوع في التعبير فخرا لاي شاعر ، فان هذه هي الصفة الخالدة التي لا يقال عنها اي نقد ، والتي تستنكر بجانبها المقارنة والتفضيل .

ومن المعروف ان مجلة ابولو كانت مخصصة للشعر وكانت تهدف لايجاد مدرسة شعرية تسمو بالشعر العربي الحديث الى مصاف الاداب العالمية . وكانت تقدم الى القراء نماذج فنية من روائع الشعر العربي ، وهذا الشاهد الذي اثبتناه هنا ، دليل واضح على شاعرية زكي مبارك ، وجودة شعره ، كما هو دليل واضح على مكانته الممتازة التي يتمتع بها بين الشعراء المجيدين .

كان زكي مبارك في مطلع حياته الادبية ينظم طوال القصائد وقد تبلغ احداها مئات الابيات ، ولكنه غير هذا الاتجاه عندما اتصل بشخصيتين ادبيتين ـ كما يقول ـ هما سيد المرصفي ومحمد المهدي فقد رسما له الطريق ودلاه على الطريقة المثلى التي يجب أن يتبعها ليخلد شعره على الايام ، فبعد ان كان القراء يقراون له القصائد الطوال ، اذا به يفاجؤهم بمقطوعات قصيرة ، وامعن في الاختصار حتى قراوا له في جريدة السفور بعنوان « ظلام الليل » هذا البيت وتحته توقيعه :

وجن علي الليل حتى حسبته   جفاء كريم او رجاء لئيم

حقا انه تحول عجيب . ولكنه تحول مفيد يجعله يجود شعره وينقيه من الشوائب التي كانت عالقة بقصائده الطويلة السابقة .

ومعظم قصائده الاولى مقطوعات قصيرة ولكنه يضع فيها ما يعتلج في قلبه من لواعج الشوق والحنين فمن ذلك هذه المقطوعة :

رباه صفت فؤادي   من ساجيات الجفون
ولم تشا لفلوعي   غير الجوى والشجون
فكيف تصفو حياتي ؟   من الهوى والفتون
أم كيف ترجى نجاتي ؟   من الاسى والحنين

وهذه المقطوعة :

لقد صددنا كما صددتم   فهل ندمتم كما ندمنا
وشفنا الوجد مذ جفوتم   فاظهر الدمع ما كتمنا
وهبت روحي وقلت عطفا   فما عطفتم وما رجمنا
ما ازددت خوفا على فؤادي   الا وزدتم رضى وامنا
قتلت نفسي على جفاكم   وما قرعتم علي سنا
لو كنت اشكو الهوى لصخر   لحن وجدا وان حزنا
وذاب من هول ما اراه   فقد برانا الهوى وذبنا

وهذه المقطوعة :

أيها الظالم الجميل سلام   من اسير قيدته بجفاكا
كيف أصليتني من الهجر نارا   وحرمت العيون من ان تراكا
ليت من شاء ان يطول اسانا   في سبيل الهوى اطال اساكا

وهذه المقطوعة :

أجبني ان تفضلت   على المسكين بالرد
أنسى الدهر ما جادت   به عيناك من وعد ؟
وأرسم للمنى حدا   وما لجواي من حد ؟
وأقنع بالردى وردا   وغيري سائغ الورد ؟

---

(١) فصل من كتاب « ذكرى زكي مبارك » المعد للطبع .

وارضى باللظى مثوى   ووجهك جنة الخلد ؟

ونختتم هذه المقطوعات بهذين البيتين :

قالوا عشقت فقلت كم من فتنة   لم تفن فيها حكمة الحكماء
ان الذي خلق الملاحة لم يشا   الا شقائي في الهوى وبلائي

وربما نظم في اغراض اخرى غير الغزل والتشبيب ؛ ولكنه كعادته يضمن في البيت او البيتين اراءه التي يريد نشرها على الناس . وقال بعنوان « ايام الشباب » :

ولم ار كالفحشاء يخزى بها الفتى   ويثلم منها عرضه فيهون
وما كان زين النفس الا عفافها   ولكن لايام الشباب شئون

ويقول زكي مبارك عن نفسه : « كان صاحب الديوان من المتقشفين يوم كان طالبا وكان يرى كل لهو جريمة » ، ومن شعره في هذا الموضوع :

زمان الصبا هلا عن الغي ناهيا   فترحل محمودا وتحمد ثاويا
صرفت نفوس الناشئين عن العلا   وأوردتهم يما من الجهل طاميا
لقد كنت عهد الجد لو ابصر الفتى   فودع رياه واصبح ساليا
ومن لم ينل عند الشبيبة حظه   من المجد لم يخضع له المجد ثانيا

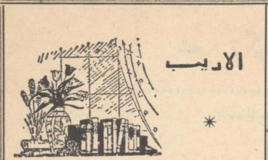
أتينا بهذه المقطوعات القصيرة لنبين ما ذكرناه من ايثارة الاختصار في نظم الشعر . وقد تتجاوز بعض قصائده الثلاثين بيتا ، ولكن الايجاز يغلب على اكثر قصائده .

ولعل السبب في هذا الايجاز هو عدم تفرغه للشعر ، فقد انتهبت مؤلفاته الادبية والفلسفية اكثر اوقاته وصرفته عن نظم الشعر . فان وجد في نفسه ميلا الى نظم الشعر ولم يستطع كبت هذا الشعور ، اخذ ينظم تلك المقطوعات التي أشرنا اليها . اما القصائد الطوال فهي تحتاج الى وقت طويل وجهد متصل . وقد كان اهتمامه منصبا على ابحاثه وكتبه الكثيرة .

وشاء الله ان يذهب الى بغداد . وهناك عاوده الحنين لنظم الشعر ففاضت نفسه بقصيدة طويلة بلغت أكثر من مائة بيت . ومما قال فيها :

عفا الحب عن بغداد كم كنت لاهيا   أكاثر أيامي بليلى وظمياء
فكيف وقعت اليوم في أسر طفلة   مكحلة بالسحر ملثوغة الراء
اصاول عينيها بعيني والهوى   يشيع الحميا في فؤادي واعضائي
واشهد أطياف الفراديس ان بدت   تراود احلامي مزاحا واهوائي
ابغداد هل تدرين اني مودع   وان سموم البين تلفح أحشائي
ابغداد هذا اخر العهد فاذكري   مدامع مفطور على الحب بكاء
ابغداد يضنيني فراقك فاذكري   لدى ذمة التاريخ بيني واضنائي
خلعت على الدنيا جمالك فانثنت   تخايل في طيب وحسن ولالاء

ان هذه القصيدة احيت طاقته الشعرية وجعلته يعاود نظم القصائد الطوال ولم يتفرغ للشعر بعد رجوعه لانه اشترك في تحرير مجلة الرسالة عددا من السنين ، وعمله في الرسالة كان منحصرا في خلق المعارك الادبية وكتابة فما فوق « كقصيدة مصر الجديدة » وعندما تعرضت موضوع «ا الحديث ذو شجون » ولكنه كان في بعض الاوقات يسطر القصائد الطوال التي تبلغ احداها المائة من الابيات



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ديناران او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥ دنانير او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

الاسكندرية الى خطر القنابل في الحرب العالمية الثانية نظم قصيدة « دار الوجد والمجد » في حدود مائة وخمسين بيتا واخر قصيدة نشرها في الرسالة كانت بعنوان « غــرام يوم الثلاثاء » .

وبعد ان ترك الرسالة تفرغ لنظم الشعر فاخذ يطلع على القراء بقصائده الطويلة ويمهد لكل قصيدة بمقدمة تحليلية . وقد اخذ هذا الفن عن لامرتين .

وهذه المقدمات في حد ذاتها لا بأس بها ، بل قد تكون ضرورية في اكثر الاحيان ، ولو انها خلت من الغمز واللمز لما كان عليها غبار لوم وتثريب ، ولكن الشاعر هاجم فيها كثيرا من الشخصيات بقسوة وعنف ، وكان يذكرها بالخير في السابق . ومرد هذا الى الحالة النفسية التي وصل اليها بسبب شعوره بالظلم والعقوق .

وفي سنة ١٩٤٧ اصدر ديوانه الثاني باسم « الحان الخلود » جمع فيه كل ما نظمه من القصائد مع مقدماتها الطويلة ، وضم الى الديوان الجديد ديوانه القديم الذي ورد ذكره منذ قليل . والديوان الجديد ملفت للنظر بقصائده الطويلة خلافا للديوان السابق الذي كان يضم مقطوعات قصيرة اكثرها في الحب والغزل والتشبيب .

اما الديوان الجديد فحافل بقصائد الغزل والتشبيب ، وحافل بقصائد التوجع والانين ، والحزن فيه خصيصة اصيلة ويقول هو :

« ان الحزن يتموج ملتهبا فوق صفحات هــذا الديوان ، وهو حزن اصيل انه حزن لم تكن لي فيه ارادة ، وانما هو رزق ساقته المقادير بغير حساب لغاية يعلمها علام الغيوب » .

وليس في الديوان مديح لاحد من المسئولين ، وكيف يكون ذلك وهو اشد الثائرين ضد الكثيرين منهم وقد هاجمهم في الديوان شعرا ونثرا ، حتى تعرض للفصل من وظيفته كما مر بنا . ويقول هو « وليس في اشعاري مديح ، فما اعرف رجلا اعظم مني لانظم فيه قصائد المديح » .

وكلمته الاخيرة هذه تصور نفسيته خير تصوير ، فزكي مبارك الناقد الثائر الذي هاجم الادباء وهجا الوزراء . لا يرى احدا جديرا بالمدح ... خصوصــا بعد ان رأى استهانة الناس بالاخلاق الانسانية الراقية ، واصبح النفاق والملق والغش هي الاخلاق السائدة في المجتمع . لهذا لم ير رجلا اعظم منه ليقول فيه كلمة المديح ...

وقد قرات مقالا للاستاذ احمد الجندي في مجلة الثقافة عن زكي مبارك ذكر فيه ان السياسة استخدمت الاقلام في الحرب العالمية الثانية لاغراض خاصة ، ولكنها لم تستطع استخدام قلم زكي مبارك لانه كان وطنيا مخلصا يفضل الحرمان على الكسب الوضيع . وهذه مكرمة تسجل في سيرة زكي مبارك بالمجد والفخار .

يرى زكي مبارك انه حامل لواء الشعر بعد ان خلا الروض من كبار الشعراء اذ يقول :

« ولن يستطيع ناقد متحذلق ان يكتب حرفا في نقد هذا الديوان ، فما عرفت اللغة العربية في تاريخها القديم وتاريخها الحديث قلما امضى من قلمي او بيانا ابلغ من بياني .

قال الدكتور محمد صبري ان ديباجتي الشعرية ديباجة بحترية وهي كلمة يريدها الثناء ، ولكنني عند نفسي اشعر من البحتري واشعر من جميع الشعراء لانني ملك الشعراء » .

ويقول في مكان اخر :

« وانا مع هذا لا اظلم نفسي رغبة في تسامح الناقدين ، فهذه المجموعة الشعرية لم يسبق لها مثيل في الشعر القديم او الشعر الحديث .

قال الفرزدق : يمر وقت يكون فيه نظم بيت من الشعر اصعب من خلع الضرس . ما الموجب لهذا العناء ، يا ايها الفرزدق ؟ ان اشعارك كلها لا تساوي هذا البيت :

لقد صددنا كما صددتم فهل ندمتم كما ندمنا

واعتقد ان زكي مبارك يعرف جيدا انه يبالغ في الثناء على نفسه ، لذلك نراه يعترف صراحة في مكان من الديوان بقوله « لا انا ولا الوف من امثالي يصلون الى منزلة ابي تمام الشعرية »

ويقول في خاتمة الديوان :

« قد يرى القارىء بيتا ضعيفا في قصيدة قوية فيسال عن السر في الابقاء على هــذا البيت الضعيف . وجوابي ان ذلك البيت قد يكمل الصورة ، وعلى فرض انه حشو فالحشو ينفع في اقامة اعالي المباني .

وابن الرومي الشاعر العبقري قد اعتذر عن الابيات الضعيفة في القصائد القوية فقال ما معناه « ان الشجرة القوية تعتمد في حياتها على اغصان ضعيفة » وقد صدق. وفي الديوان مقطوعات لا تحتمل النقد ، لانها في غاية الضعف ، ولكني ابقيت عليها لارى فيها الخطوات الاولى من حياتي الشعرية » .

اين هذا الكلام من قوله السابق « ولن يستطيع ناقد متحذلق ان يكتب حرفا في نقد هذا الديوان » انــه في الواقع ينقد نفســه هنا ليسبق بعض النقاد الذين يلاحظون هذه الهفوات عند قراءتهم ديوانه . وقد اعترف بانه لا هو ولا الوف من امثاله يصلون الى منزلة ابي تمام الشعرية ، بعد ان قال انه ملك الشعراء . وهكذا فقد وقع في تناقض واضح وهذا راجع الى فوضى الديوان كما صرح الشاعر.

ان قصائده في ديوان الحان الخلود على وتيرة واحدة ، اكثرها في الغزل والتشبيب ، وقد يكرر المعنى في كل قصيدة لذلك فان الباحث يتعب ان اراد ان يحلل شعره بالمعنى المعروف . وهو يعتمد على الالفاظ اكبر اعتماد ، فهو تستهويه النغمة الموسيقية . فنراه يكثر من استعمالها .

ان زكي مبارك لو غربل هذا الشعر الكثير لحصل منه على ديوان صغير يتناقله السمار وعشاق الادب ، ويتدارسه الادباء في كل مكان .

الكويت فاضل خلف

قصــة تمثيليــة

الباب المفتوح

بقلم اديـب مـروه

حوش في دار مزرعة صغيرة : في الوسط حوض بئر ، معلق فوقه سطل مربوط بحبل ، في الصدر باب ضيق يفضي الى الدار ، على جوانب الحوش مصاطب من طين . هنا وهناك اكوام من القش والقصب. الى اليمين قن للدجاج ، وبجانبه مدخل لزريبة الحيوانات ، الى اليسار باب عريض يفضي الى الخارج يحيط به جدار منخفض ... يرفع الستار عن الفتاة « زلطة » ــ قروية حسناء في ربيعها العشرين ــ وهي تحيك جرابا من الصوف ، والى جانبها طفل في عامه الثالث يلتهم شيئا من الطعام ، الوقت صيف عند الاصيل .

زلطـة ــ (الى الطفل) كل يا حبيبي ... كل على مهل .. هل انهيت طعامك ؟ .. أتريد ان تشرب ؟ .. انك تكاد تغص .. تعال لاسقيك يا حبيبي . يجب ان تنام باكرا.. اقترب كي امسح لك وجهك ... فلقد لوثته بالطعام.. والان هيا الى السرير .. هل فهمت ؟ ... يجب ان تنام ، والا ستأتيك المراة العجوز فتخيفك بصوتها الاجش .. هيا اسرع يا روحي .. الطقس بديع هذا المساء .. اليس كذلك ؟ (يجري الطفل الى الدار) آه ما اشقى الامهات .. وما اسعد الزوجات المترفات ! ويا لحظي السيء !

يظهر شملان في الاثناء داخلا من الباب الخارجي ، وهو شاب في الخامسة والعشرين يعمل اجيرا في المزرعة ، يحمل فوق كتفه حزمة من القضبان ، وبيده فأس ، يلقي حمله في احد الزوايا ، ثم يتقدم نحو زلطة وهو ينفض الغبار عن ثيابه المزرية .

شملان ــ الله يعطيك العافية يا زلطة ... انت دائما منكبة على الحياكة ؟

زلطـة ــ كما ترى ... اني اصنع جوربا للصغير ...

شملان ــ لا بد ان يكون هذا العمل صعبا .

زلطـة ــ أوه .. انها مسألة عادة فحسب .

شملان ــ (وهو يتأمل حركة يديها) على كل حال ، هذا عمل صعب يستحيل علي أن اتعلمه .

زلطـة ــ انه ليس من اختصاص الرجال .

شملان ــ طبعا .. ولكن هذا لا يمنع ان بين النساء كثيرات يقمن باعمال الرجال (يصمت قليلا وكأنه لا يدري ما يقول) ساجلس قليلا اذا سمحت .

زلطـة ــ (تفسح له مكانا الى جانبها) تفضل ..

شملان ــ (مستطردا) .. حين اقول ان كثيرات من النساء يقمن باعمال الرجال ، لا بل واحسن .. لست بحاجة الى الذهاب بعيدا لاستشهد على صحة قولي .. انت مثلا ، فليس هناك من يجاريك في تعبئة القش فوق العربة ، وفي تعشيب الحقول . وهذا عمل شاق .

زلطـة ــ لا بد للانسان من ان يكسب عيشه بعرق جبينه .

شملان ــ (يراقبها باعجاب) يا لبراعتك في تحريك ابر الحياكة بسرعة .. غالبا ما اقول لنفسي هذا كثير ، انك تجهدين نفسك في العمل صباحا مساء .

زلطـة ــ العمل يطرد الملل .

شملان ــ هذا صحيح ، ولكن المراة هي مراة قبل كل شيء ، فكيف اذا كانت فتاة رقيقة مثلك ؟

زلطـة ــ (بسخرية) فتاة ؟ هيه ! .. اجل ولكنها ارتاحت بأن وجدت ملجأ لها ولابنها .. ثم ماذا تريدني ان اعمل؟

شملان ــ ارجو المعذرة ... لعلي اثرت شجونك .

زلطـة ــ كلا . ابدا . ليس انت .. بل هم .. واعني الاخرين . انهم ليسوا طيبين نحوي (تزفر زفرة اليمة) حين ماتت امي بعد مضي ستة اشهر على ولادة ابني ، لم يبق لي في الدنيا احد سوى بعض الاقرباء القليلين ، وقد رفض كل منهم ان يأويني عنده بحجة اني جلبت لهم العار على حد قولهم ... وهكذا حين عرض علي صاحب هذه المزرعة العمل عنده ، قبلت حالا دون تردد.

شملان ــ لا بد ان تكون المعيشة قاسية عليك في البدء .. امراة وحيدة تعمل في مزرعة شبه منقطعة عن الناس ؟

زلطـة ــ اف ... الناس ؟ اني اكرههم ... حين كنت اذهب لشراء اي شيء لدى البقال قبل حضوري الى هنا ، كنت كمن يطلب الله صدقة ، بينما لا ارى في هذه المزرعة سوى صاحبها ووالدته العجوز ، وانت ... منذ اربعة اشهر .

شملان ــ (مصححا) منذ اربعة اشهر ونصف ، منذ العيد الكبيــر .

زلطـة ــ ليلة العيد كما اظن .

شملان ــ تماما ... منذ ليلة العيد الكبير ، اما صاحب المزرعة هنا فهو ــ كما ترين ــ لا يمكن ان يوصف بانه سيء المعاملة ، بل هو عنيد جدا ، اذا قال شيء يجب الا يعترض على مشيئته احد . اليس كذلك ؟

زلطـة ــ لكل انسان طباعه الخاصة . (تسمع في الاثناء قرقعة صحون وملاعق وراء الستار ، يلتفت شملان وحده) .

شملان ــ (مستطردا) .. وهناك العجوز ، فهي لا تتكلم الا نادرا ، ولكنها تقف لنا دائما بالمرصاد كالقدر ... اني الاحظها احيانا ، فاجد انها تراقبك كما لو كنت سرقت شيئا ثمينا ، وفي ذات صباح ، كنت انت في الحقل رأيتها تدخل غرفتك ، وتقلب ملابسك الداخلية .

زلطـة ــ (وقد توقفت يداها عن الحياكة) ماذا تقول ؟ .. يا لها من بومة !

شملان ــ حقا انها تتمادى كثيرا ، ولكن يجب الا يصل بها الامر الى هذا الحد ... وانا وان كنت مستخدما

بسيطا ، ولكني استطيع ان اوقفها على حدها .

زلطة – لا . لا . بالله عليك ، لا تفعل شيئا ، هذا شيء لا اهمية له .

شملان – (يقترب منها قليلا) انت تعلمين يا زلطة .. ان هناك قوما لا يفهمون ، وهناك من يفهمون مع ذلك ... وهناك من يقدر جيدا ظروف كل فتاة ... ولذلك يجب الا نرجمها بالحجر ، وهناك من يراعي نزوات الحداثة ... حين نجتاز لحظة ضعف ، فيثق باحدهم ممن لا يستحقون هذه الثقة ... اجل يا زلطة هناك من يفهم كل ذلك . هل تصغين ؟

زلطة – (وهي متشاغلة) اجل ...

شملان – (بعد لحظة صمت وتردد) لا بد انك تشعرين بالوحدة احيانا ؟ انا لا ادري ..

زلطة – بالوحدة ؟ هذا صحيح .. ولكن ذلك متوقف على الايام .

شملان – (يخفض بصره الى الارض) هذا المساء مثلا ؟

زلطة – (ساهمة) هذا المساء ؟

شملان – (متلعثما) ولكن .. دعي الشغل جانبا .. انت ترهقين عينيك ..

زلطة – (تستمر في حياكة بعض العقد ثم ترمي بالصوف جانبا) ارايت ؟ .. اني افعل ما تريد .. ماذا قلت ؟ .. هذا المساء ؟

شملان – (مستطردا) اجل هذا المساء ، هل تشعرين ايضا بكونك وحيدة ؟

زلطة – (تبدو وكانها تسائل نفسها ، ثم تتنهد طويلا) لا .. ليس هذا المساء .

شملان – آه .. حسنا .. حسنا ..

زلطة – (وكان موجة ارتياب عرتها) ولكن ليس منذ هذا المساء ..

شملان – (بخيبة) ليس منذ هذا المساء ؟ منذ متى اذن ؟

زلطة – لا ادري ... منذ ثلاثة او اربعة اشهر .

شملان – (مرتاحا) اليس ذلك منذ اربعة اشهر واسبوعين مثلا ؟

زلطة – ربما . شملان – حسنا .

زلطة – وانت . شملان – انا ؟

زلطة – اجل انت .. لا بد ان تكون متضجرا هنا .. بعيدا عن كل شيء .. دون رفاق .

شملان – اني امنعك من قول ذلك يا زلطة ؟

زلطة – ها انت تحاول منعي الان ؟

شملان – امنعك ، لا .. استغفر الله .. لا اقصد ذلك . بل انها طريقة في الكلام ليس الا . انت تفهمين ما اعني ..

زلطة – كل ما افهمه انك رجل تحب السيطرة .. منذ لحظة شئت منعي من الشغل ، والان تريد منعي من الكلام ..

شملان – اني آسف .. هل اغظتك يا زلطة ؟

زلطة – كلا ، ابدا .. اني اقول ذلك من قبيل المزاح ..

شملان – (بلهجة جدية) يجب الا نمزح يا زلطة .. اني امنعك من ذلك ايضا .. وانت تفهمين جيدا ما اعني .. كلا ليس هذا المساء .. لاسيما في ما يتعلق بهذه الشؤون .

زلطة – (بخبث) اية شؤون تعني يا شملان ؟ (ثم برقة) وما هي هذه الشؤون ؟

شملان – انت تعرفينها جيدا يا زلطة .. وانا لا اعرف ماذا علي ان اقول . منذ لحظات كنت تحدثيني عن نفسك عن الصغير ، عن همومك ، ولكن يجب ان تعتقدي باني انا ايضا لم اكن مدللا في حياتي .. لقد ربيت في دار للايتام حتى الثانية عشرة من عمري ، وبعد ذلك اخذت اقضي يوما شبعانا ويوما جوعانا ، الى ان قادتني قدماي الى حياة المزارع .. وانت تعلمين اية حياة نعيشها هنا ..

زلطة – مسكين ! !

شملان – حين قدمت الى هذه المزرعة ، نويت ان اشتغل فيها موسمين او ثلاثة . وقلت لنفسي هذا خير من لا شيء ..

زلطة – حسنا فعلت .

شملان – انما حدث لي شيء في الاثناء .. (بتردد) رايت هنا شخصا اثر في – لا اعني صاحب المزرعة ولا امه طبعا – يعمل في الخدمة مثلي ، وحالته تشبه حالتي .. ليس له اقارب ، وفوق ذلك له طفل لم يات الى هذه الدنيا ليسعده ، هذا الشخص اراه كل يوم يعمل اكثر من اي كائن اخر ، دون شكوى او ملل . انه مثال التعقل و .. الجمال .

زلطة – شملان ... ارجوك .

شملان – ولماذا لا اقول ما اعتقد ؟ وسأقوله يا زلطة ، وقد فكرت مليا « بما اننا نعيش هنا دون الاعتماد على احد ، فاننا نحترم بعضنا البعض » وآمل ان يكون لديك شيء من التقدير نحوي .. اجل وهكذا فكرت اذن باننا نستطيع ان نحاول العيش بسعادة احدنا مع الاخر اذا شئت ... فهل انا مخطىء ؟

زلطة – انت تريد ان تقول ...

شملان – اريد ان اقول ان بامكاننا ان .. نتزوج ، وماذا يمكن ان تكوني قد ظننت ؟ .. اجل سنتزوج ، ونبقى هنا بضعة اشهر ، لكي نجمع شيئا من الدراهم ، ثم نستاجر منزلا في القرية القريبة .

زلطة ! ... شملان – الا تقولين شيئا يا زلطة ؟

زلطة – على العكس ، فقد افعمتني حرارة عواطفك النبيلة .. ولكن هناك الصغير كما تعلم .

شملان – لا تقلقي لذلك ... انه سيعيش معنا ، وسيكون له اشقاء يرافقونه .. اني اؤكد لك يا زلطة بان اي مخلوق بعد ذلك لا يستطيع ان يعيب الماضي .. فما رايك ؟

زلطة – ماذا بامكاني ان اقول ... هذا شيء جميل جدا لم اكن احلم به ، ولكن ربما لا تعرفني كما يجب .

شملان – انا لا اعرفك كما يجب ؟ .. انت تمزحين ولا شك .. آه لو كان كل الناس يعرفونك كما اعرفك .. انا اعلم جيدا بانه لا توجد فتاة مثلك ..

زلطة – ولكن ربما « هم » لا يريدون ذلك ..

شملان – من هم ؟ تقصدين صاحب المزرعة وامه ؟ هل لهما حقوق عليك ؟

زلطة – لا تنس انهما آوياني عندهما فيما تخلى عني جميع الناس .

شملان ـ ولكنك وفيتهما هذه الحقوق بما قدمته لهما من عمل .

زلطة ـ نوعا ما ! ..

شملان ـ لا .. ليس هذا بجواب . بل قولي نعم يا زلطة . سنتزوج ؟

زلطة ـ (بصوت منخفض) كما تريد اذن . (بعد لحظة) انتبه لقد جاءت العجوز .

[تظهر العجوز هنا وقد خيم الظلام قليلا ، ثم تقترب منهما وهي تسعل سعالا جافا] .

العجوز ـ ولكن .. ماذا بامكانه ان يفعل حتى هذه الساعة ؟

شملان ـ من ؟ .. صاحب المزرعة ؟ .. قد يكون قصد القرية المجاورة ، لا تقلقي ، فهو يعرف ان يعود وحده .

العجوز ـ غاب القط العب يا فار (تغيب في الظلام) ولكنهم لن يلعبوا دائما .

شملان ـ يا لها من عجوز النحس .. (يحاول ان يحيط الفتاة بذراعه) .

زلطة ـ كن عاقلا ... انها قد تعود .

شملان ـ ثقي بي يا زلطة .. قد يكون المجتمع ظالما ، لان هناك اناسا فقراء ، لا اهل لهم ، ومع ذلك فان الاخرين يسخرون بهم ، ويهينونهم ، ولكن ليس الكون كله غير عادل كما نعتقد احيانا ، اذ في الوقت الذي يلتقي فيه كائنان من هؤلاء الناس الفقراء ، ويتعارفان ، ويقول احدهما للاخر ، اننا لن نخشى شيئا سوى المرض وسوء الطالع ، وستكون لنا حياتنا بين البشر ، حياة لا تختلف عن حيوات الاخرين ، عندئذ يجب ان تؤمني يا زلطة با نالسعادة ممكنة ، وبان الناس ليسوا كلهم اشرارا ..

زلطة ـ من كل بد .

شملان ـ ارايت كيف ان احدنا لم يخف شيئا عن الاخر ؟ .. وقد تعلمنا ان نحترم بعضنا البعض مع بؤسنا وتعاستنا ... الا تعتقدين ان بامكاننا ان نواجه الحياة كما هي ، وكما نحن الان (يتناول يدها بين يديه الخشنتين) واحدنا يمسك بيد الاخر ؟ ؟ (يصمت دقيقة) .

زلطة ـ بماذا تفكر يا شملان ؟ هل من الصعب ان تخبرني ؟

شملان ـ اجل ليس من الصعب ... انها حماقة ... هناك شيء اريده ، وهو حين نتزوج ، يهمني ان تقولي لي ، اذا قابلنا والد ابنك ، هذا هو .. اني لا اطلب ذلك بقصد الانتقام ، فهذا امر لا علاقة لي به لانه اصبح من شؤون الماضي ، بل لكي لا يحدث سوء تفاهم بيننا .

زلطة ـ لا اعتقد انك ستقابله يوما ما ، فلقد غادر القرية الى غير رجعة ..

شملان ـ حسنا .. لا تؤاخذيني يا زلطة .

زلطة ـ كم تحسن التعبير عن افكارك يا شملان (بعد لحظة) لقد اصبح الطقس منعشا الان .

شملان ـ انتبهي اياك ان تاخذي بردا ... ساذهب لاتيك بشال من الصوف .

زلطة ـ لا ، لا ، اني لا اشعر ببرد ، بل بالعكس احس بشعور من الارتياح الشديد ..

شملان ـ هل هذا صحيح ؟ وانت الى جانبي هكذا يا زلطة ؟

زلطة ـ اجل .. ولكن هل تدري ان زلطة ليس اسمي الحقيقي ، بل ادعى بالاصل عفاف ، وقد لقبت بهذا الاسم منذ سنوات ...

شملان ـ عفاف .. عفاف .. يا له من اسم جميل احبه كثيرا .. اتريدين ان اناديك به دائما ؟

زلطة ـ حين نكون وحدنا فقط .

شملان ـ طبعا يا عفاف .. اني سعيد بذلك .. عفاف ؟ كم اشعر بارتياح الى جانبك (يتناول يدها فيقبلها) .

زلطة ـ انتبه يا شملان .. اني اسمع وقع اقدام بعيدة .. لعله صاحب المزرعة (بعد لحظة) ها هوذا .. ابتعد يا شملان . (يظهر المزارع في الحوش) .

شملان ـ (هامسا) انت ما زلت عند موقفك يا عفاف .. نحن متفقان ، اليس كذلك ؟

زلطة ـ (بصوت خافت) اجل .. اجل ..

المزارع ـ (يتوقف وقد شاهدهما في الظلام) ماذا تفعلان هنا حتى هذه الساعة المتاخرة ؟

شملان ـ اننا ننتظرك .

المزارع ـ لا تجعل نفسك خبيثا انت .. هذا شيء لا يناسبك .. هل بدلتم علف الحصان ؟ .. والدجاجات ؟ لقد لاحظت ان باب القن ما زال مفتوحا (يتبادل شملان وزلطة النظرات) .

زلطة ـ لقد نسيت .. ارجو المعذرة .

المزارع ـ نسيت ؟ .. طبعا .. ولكن بماذا كنت مشغولة يا بنت ال.. هيا قومي واقفلي القن .. وانت يا شملان اذهب واعد العشاء .. غدا يجب ان تنهض عند الفجر (تنهض زلطة لتغلق باب القن بينما يدخل شملان الدار) .

المزارع ـ (يقترب من زلطة ويمسك بيدها بينما تحاول هي الافلات) لا تحاولي التملص ، يجب ان نتحدث .

زلطة ـ (نافرة) ولكن ماذا فعلت ؟ .. ما تريد مني ؟

المزارع ـ اسمعي ايتها الحمقاء ، لا تظني باني غافل عن مغازلاتك للولد .. انك لم تنهضي باكرا اليوم .. وهذا امر يجب ان ينتهي .. انت تعرفين ماذا ينتظرك .

زلطة ـ دعني وشاني ... انك تؤلمني بيدك ..

المزارع ـ ولكن « الاخر » لم يكن يؤلمك منذ لحظات (يشدها بيده شدة قوية تؤدي الى تمزيق قميصها) .

زلطة ـ يا لك من وحش ..

المزارع ـ ماذا جرى لك هذا المساء ؟ اصبحت تمانعين الان ؟

زلطة ـ حسبي ما لاقيت ..

المزارع ـ اتركي بابك مفتوحا الليلة .. افهمت ؟

زلطة ـ كلا . ابدا . المزارع ـ ماذا تقولين ؟ .. كلا ؟

زلطة ـ كلا .. ارجوك .

المزارع ـ (بحدة) قلت دعيه مفتوحا والا ساحطمه عليك .. فاختاري .

زلطة ـ لن ادعه مفتوحا .. وقد اخترت ...

المزارع ـ (يتناول سوطا وينهال به على جسدها ضربا) ساعلمك كيف تخالفين اوامري .

زلطة ـ (تصرخ من الالم فيتراكض شملان والعجوز على صراخها) آه .. آخ .. الوحش .. المجرم .

العجوز ـ دعها وشانها يا بني ، انك ستقضي عليها ...

شملان ـ حرام عليك ان تضرب هذه المراة ..

المزارع ـ لا تتدخل انت في ما لا يعنيك .

اميرة الوادي

يا عين هذا الحسن مكتمل المفاتن فارتعي
وتزودي يا نفس من انفاسه وتمتعي

وتنصتي للريح تعزف خالدات لحونها
باصابع سحرية دبت الى مكنونها

فعلى اراجيح الغصون وفي الخمائل نسمة
وعلى السواقي دغدغات والمساقط نغمة

صور ملونة من الشفق الجميل صباغها
وحلى مزركشة من الاقمار دق مصاغها

●

واميرة الوادي تطل على الربى بجمالها
فتردد الاجواء ضحكة غنجها ودلالها

لقد اغتنت بعفافها وقد ارتضت بكفافها
وتنعمت في العيش بين نعاجها وخرافها

لا تسال الاقدار عن اكليلها او تاجها
او عن دمقس ثيابها يوما ولا ديباجها

●

ــ ابنيتي هيا ارقبي هذي الكروم الحانيه
هيا احلبي الشاة الكريمة واسرحي بالماشيه

وغدا سياتي العيد والحجر الكريم سيلمع
وسيزدهي بالخاتم الوهاج منك الاصبع

ابنيتي ...
ــ ... اماه ما احلى الخواتم تلصف
لكنما منك الرضى احلى لدي والطف

ــ ابنيتي سيكون خاتمك الجميل زمردا
أو ماسة براقة او قد يكون زبرجدا

ــ اماه لا تنسي ...
ــ ....ذكرت ، ذكرت بل ياقوتة
حمراء، كالدم في خدودك قد جرى منحوتة

في خاتم من عسجد يزهو بكف مونقه
لاميرة الوادي الجميل هدية من شيقه

●

وتألق العيد السعيد ورفرفت انسامه
لكن حظ الام قد عثرت به اقدامه

لم يكفها ما وفرته لكي تبر بعهدها
فاذا الهدية منية قد اخلفت في وعدها

واسترسلت حورية الوادي الجميل لنومها
لم تكترث لغداتها ، لم تبتئس في يومها

واذا بحلم مشرق قد طاف من افكارها
وكأنها تعدو الى الاطيار في اوكارها

لتقدم الحبات تنثرها غذاء طيبا
واذا بوخزة شوكة بعثت دما متصببا

وبقطرة حمراء قد وشت اديم الخنصر
وتحولت ياقوتة في لونها والمظهر

هرعت اميرة ذلك الوادي تنادي : خاتمي
اماه ها هو فاسلمي في ظل ارحم راحم

بغداد — انور شاؤل

شملان ــ لا بل الامر يعنيني ... اني امنعك من ضربها (يتقدم شملان نحو المزارع ويحاول ابعاده عنها) .
المزارع ــ (يكف عن ضرب زلطة ويلتفت نحو شملان) انت تريد منعي ؟؟ باي حق ؟ ومن علمك ان تتطاول على معلمك ؟ خذها .. (يناوله صفعة بسوطه فيخر هذا ارضا ولكنه ما يلبث أن ينهض فينقض عليه ثم تدور بينهما معركة حامية تنتهي بانهاك قوى المزارع) .
شملان ــ (وهو يلهث) والآن اني راحل .. لن استطيع البقاء هنا بعد الان .. زلطة ؟ .. هل ترحلين معي ؟
زلطة ــ (دون تردد) اجل .. وقد نفد صبري اخيرا .. لقد زهقت العيش في الوحل .. نعم اني راحلة .. اريد ان اعيش كما يعيش سائر الناس .. اريد ان اعيش .. ان اعيش فقط .. دون ذل .. هات لي ابني يا شملان .. ستكون لنا حياتنا كالاخرين .. ولن نموت جوعا ..

اديب مروه

شاعر اسكتلندا القومي

بقلم فؤاد حداد

ان معظم الامم القديمة قد سجلت عواطفها وحنينها في كلام منتظم مقفى نسميه شعرا . وامتنا العربية قد فعلت ذلك ايضا . ولكن لو درسنا شعر امة واحدة من هذه الامم لوجدنا انه من بين الاف الشعراء الذين عبروا عن انفسهم بهذه الوسيلة يقف دائما واحد منهم وقفة العملاق الجبار في وسطهم وتضع الاجيال التالية على هامته اكاليل الغار من الثناء والتقدير وتعده تلك الامة شاعرها القومي الخالد وتفاخر به غيرها من الامم . ولو تساءلنا لماذا يبرز المتنبي بين شعراء العرب وشكسبير بين شعراء انكلترا وروبرت بيرنز Robert Burns بين شعراء اسكتلندا هذا البروز العظيم ويتعالى بين اقرانه كما تتعالى القمة الشامخة بين الوديان لوجدنا جوابا سهلا بسيطا ، وهو ان نفسية ذلك الرجل قد احتوت كل مشاعر امته ومزاياها كما تحتوى الخلية الواحدة كل المزايا الحية الموجودة في الجسم الكبير ، وتأتي توقيعات شعر ذلك الرجل وكأنها نبضات قلب امته تحولت الى لفظ ومعنى ، لهذا عندما تأخذ امة ما شاعرا معينا وتعتبره شاعرها القومي تجد امامك فرصة رائعة لدراسة نفسية الامة عن طريق دراسة ذلك الشاعر لانه صورة مصغرة لها .

روبرت بيرنز ، شاعر اسكتلندا القومي ، رجل لا يعرف الناس كثيرا عنه لاسباب عديدة ، أهمها انه كتب شعره باللهجة الاسكتلندية القديمة التي يشق حتى على الاسكتلنديين انفسهم ان يفهموها . عاش الشاعر ٣٧ عاما فقط وكان ذلك في نهاية القرن الثامن عشر . كان ابنا لمزارع لا يزيد دخله السنوي على سبعة جنيهات في العام ولم يذهب بيرنز يوما واحدا الى مدرسة ما . ولكن مهما قست الحياة على الشاعر في طفولته الا انها كانت سخية غاية السخاء معه في امرين الاول تلك العبقرية المتدفقة من الشعر والثاني ذلك الوالد الكريم الذي كان له ، فقد كرس ذلك الوالد حياته كلها لتربية اولاده الستة تربية اخلاقية وثقافية عالية فكان الكوخ الذي تسكنه تلك العائلة فقيرا معدما في الحاجيات العامة ولكن كان مليئا بالكتب ومؤلفات اساطين العلم في ذلك الحين . وكان الوالد يعلم اولاده بنفسه بعد نهاره المضني في حرث الارض والعناية بها . وظل الشاعر طوال حياته يحترم ذكرى والده الى حد التقديس .

كان روبرت بيرنز ، كما يتوقع المرء ان يكون عليه الشاعر ، مرهف الاحساس بالجمال وكان يرى أن المراة هي اجمل ما في الكون ، وهو يقول في ذلك :

تقسم الحياة ان المراة هي انبل ما صنعته يداها
اما الرجل فقد صنعته اولا على سبيل التدريب والتمرين
وبعد ذلك تفننت بل ابدعت في صوغ المراة

وكان حب بيرنز للجمال ، ولا سيما ذلك المتمثل في المراة ، احد دوافع عبقريته وشعره واحد مصادر تعاسته وشقوته . فقد كان يقع في حب كل امراة جميلة يلقاها وكان مخلصا في حبه الى ان يلتقي بامراة اجمل منها وتحرك هذه اعمق المشاعر في نفسه فيسجلها شعرا صافيا كله موسيقى ورقة ، يقول :

حبيبتي وردة حمراء تفتحت في مطلع الربيع
حبيبتي لحن جميل ينساب عذبا وديعا
انت مفرقة في الجمال وانا مغرق في حبك
فلو نشفت جميع البحار سابقى غريقا في حسنك

وكان حبه للنساء وتصرفاته معهن يؤلب عليه رجال الدين ولكنه لم يكن يكترث لذلك ، اذ انه بالرغم من تربيته الدينية المتعصبة كان له دين خاص به لخصه بقصيدة جاء فيها :

الخير عندي هو كل ما من شانه
ان يمسح الالام عن الناس او يزيد من سعادتهم
والشر عندي هو كل ما من شانه
ان يضر بالمجتمع او يسيء الى اي فرد فيه

كان روبرت اكبر اخوته فلما توفي والده اخذ هو يعتني بالارض ، يحرثها ويزرعها ويهتم بالبيت وباخوته الصغار ، وكان يرهق نفسه بالعمل حتى ساءت صحته وانحنى ظهره وهو لا يزال في العشرين من عمره . ويروى عنه انه بينما كان يحرث ارضه يوما ما اذا بمحراثه يخرج فارا من جحره . ورأى بيرنز الفار خائفا منه فكتب له هذه القصيدة التي تعد من غرر قصائده وعنوانها « الى فار » :

لا تهرب مني ايها المسكين المرتجف خوفا
انا لست ممن يريدون اذيتك
انك رفيق وزميل لي ، فقد ولدت مثلي على هذه الارض
ومثلي ستغادرها عما قريب
انك تسرق بعض محصولي وانا اعرف ذلك
ولكني اعرف ايضا انك تفعل ذلك لتعيش
ثم ان سنبلة واحدة تأخذها
من بين اربعة وعشرين حزمة قمح لهو مطلب بسيط
ان ترك اثرا وراءه فسيترك بركة فيما تبقى .
ولن اشعر بخسارة على الاطلاق

لقد تحطم بيتك الصغير
ولم يبق في الحقل شيء تبني منه بيتا آخر
ورياح الشتاء الآن تهب عنيفة باردة
اكبر الظن انك رايت الحقول تتعرى من الشجر والناس
ورايت الشتاء يأتي مسرعا بخطواته الثقيلة
فجئت تسكن هنا دافئا تحت هذه الكومة
الى ان اتيت انا بمحراثي القاسي فاخرجتك منه

ولكنك يا صديقي لست وحيدا
في العمل للمستقبل ثم رؤية ان ذلك عبث لا يجدي شيئا
فأحسن الخطط التي توضع حتى من قبل الانسان نفسه
كثيرا ما تذروها رياح الهزيمة والفشل
ولا تتركنا الا بأسى عميق لفقدان سعادة كانت متوقعة مرجوة

والحق انه مهما كانت حالتك فانت لا تزال افضل حالا مني
ذلك لان الحاضر فقط هو الذي يؤلمك
اما انا فيؤلمني الحاضر ويؤلمني الماضي ايضا كلما فكرت فيه
ويؤلمني المستقبل ذلك الذي لا اعرف ماذا يخبؤه لي
ولكني اتوقع ما يمكن ان يحدث فارتجف في مكاني هلعا ورهبة

كان روبرت بيرنز يكتب اشعاره هذه ويقرؤها لاصدقائه ويحتفظ بها في كوخه دون ان يفكر يوما ما بانها ستكون من الاشعار الخالدة في اسكتلندا وبقي حقله وزراعته مركز اهتمامه الاول الى ان حلت بالعائلة ازمة مالية عسيرة فقد فشل المحصول عامين متتاليين واسودت الدنيا بعيني بيرنز فصمم على الهجرة الى جزر الهند الغربية وعرضت عليه وظيفة هناك بمرتب ٣٠ جنيها في العام ، ولكن من اين له المال اللازم للسفر ؟ وكتب بيرنز في هذه الفترة العصيبة قصيدة رائعة قال فيها :

ليس سوى الهموم على كل يد من ايادي الناس
وليس سوى الهموم في كل ساعة من ساعات الحياة
الناس يركضون وراء الغنى
والغنى يهرب منهم مسرعا
ولما يلحقون بالغنى ويقبضون عليه
يكون اللحاق قد هدهم والتعب قد اضناهم
فلا يتمتعون بغنيمتهم .

واقترح عليه احد اصدقائه ان ينشر اشعاره في كتاب فقد يأتي له بربح ضئيل يسر له السفر . ولكن ما ان تحقق ذلك الاقتراح ونشرت تلك الاشعار حتى تحول بيرنز في ليلة وضحاها من حراث مزارع الى شخصية ادبية مرموقة تنهال عليها الدعوات من كل جانب وكانت هذه نقطة تحول عظيمة في حياة بيرنز فهو مزارع ابن مزارع وحراث ابن حراث لا يزال ظهره المنحني يشهد له بذلك وفجأة وجد نفسه في ارقى المجتمعات من حيث الثقافة والمركز الاجتماعي . وسعى له اصدقاؤه الجدد في وظيفة حكومية تضمن له دخلا محترما قدره ١٠٠ جنيه في العام واذا قارنا ذلك بدخل والده وهو ٧ جنيهات في العام لقدرنا عظم المرتبة الجديدة التي انتقل اليها الشاعر .

ولكن الثورة الفرنسية في ذلك الحين كانت في اوجها وكان بيرنز يؤيد الفكرة التي قامت عليها تلك الثورة . وسرعان ما احقد ذلك عليه اولئك الذين ساعدوه في نيل وظيفته الجديدة فقلبوا حياته الى جحيم .

ولكن مهما كانت آراء بيرنز السياسية فهو ليس سياسيا بل هو انسان كبير ذو قلب كبير يعبد الجمال ويحب وطنه فوق كل شيء .. اسمعه يقول :

ايه اسكتلندا يا ارض الوطن الغالية
نحن ابناءك الأوفياء تمرسنا على الخشونة والكدح
فلتحم السماء حياتنا المتواضعة وتراث آبائنا الغالي
من مفاسد الرفاهية ورخاوة الحضارة

ويقول في مكان آخر :
سيبقى في اسكتلندا شعب ابي يقف سورا من نار
دفاعا عن جزيرتنا الغالية

وكتب بيرنز وهو يحس بدنو اجله هذه القصيدة مخاطبا خالقه :

ايها القوي الغامض الذي لا تحد قوته حدود
فيك تتعلق آمالي ومخاوفي
انت الذي ساقف في حضرتك الرهيبة
بعد مدة قصيرة جدا من الآن
انت تعرف انك خلقتني بعواطف ملتهبة ضارية
وكنت كلما انقدت لصوتها المغري
زلت رجلي في طريق الضلال
لقد ارتكبت اخطاء كثيرة عن عمد
وليس لي عذر اتشفع به
ولكن لي امل واحد وهو انك صالح
والصالح من طبيعته ان يسر بالعفو

ان المكانة العظيمة التي يحتلها هذا الشاعر الآن في قلوب ابناء شعبه لهي اعظم تعويض له عن حياة الكدح والالم التي عاشها ، ومع ذلك فقد انتج اجمل القصائد الغنائية المرحة مثبتا بذلك ما قاله الشاعر الالماني جوته :

« ان حلت المصائب بانسان الى حد اعجزته عن الكلام العادي ، منحته السماء القدرة على ان يغني مصائبه غناء » .

اسكتلندا - جامعة ادنبرة　　　　فؤاد حداد

قصة لسومرست موم

صديق عند الحاجة

ترجمة حسن السعران

منذ ثلاثين سنة وانا ادرس من حولي من الناس . ولست ازعم ذلك ، انني اعرف الشيء الكثير عنهم وكم اتردد حتى عند اختيار خادم لخدمتي خشية ان يتم اختياري تبعا لسحنته وشكله . والمرء عادة يبني رايه في الناس على وجوههم . ألا نحكم على الناس من شكل عظمة الفك ونظرة العين وهكذا ؟ اترانا في اكثر الاحيان على صواب ام خطأ ؟ اكبر الظن ان القصص والروايات لا تمثل غالبا واقع الحياة لان الكتاب يصنعون اشخاصها جميعها بصور واضحة ولعل الضرورة تجنح بهم الى ذلك ، فهم لا يستطيعون رسم الاشخاص بشكل يناقض صورهم ، لكي لا يستعصي على القارىء فهمهم ، مع ان اكثرنا في الواقع مجموعة متناقضات . او قل اننا حزمة صفات متناقضة تجمعت جزافا واعتباطا . فليس غريبا بعد هذا ان تراني اهز كتفي اذا سمعت من يقول ، انه دائما على صواب في حكمه على الناس من اول نظرة . وفي رايي انه اما ان يكون ضيق لافق او شديد الغرور . فانا من ناحيتي لا تمتد صلتي بالناس حتى تزداد حيرتي من امرهم . ومن هنا استطيع القول بانني لا اعلم حتى عن اصدقائي المقربين ما ينبغي معرفته .

هذه هي الخواطر التي راودتني وانا اطالع في جريدة الصباح نبأ وفاة « ادوارد هايد بيرتون » في مدينة كوب بعد اشتغاله بالتجارة سنوات طويلة في اليابان . وليست معرفتي به سوى معرفة بسيطة ، ولكنني مع هذا اذكره لانه فاجأني ذات مرة بمفاجأة كبرى . فقد روى لي بلسانه قصة ما كنت لاعتقد بحال من الاحوال انه الشخص القادر على اتيان ذلك العمل الذي رواه . وموضع الغرابة ان مظهره او تصرفاته لا تنم الا عن شخصية محددة . هذا اذا صح ان ناخذ الناس بوجوههم ومظهرهم . كان بيرتون رجلا نحيل الجسم ضئيله . لا تزيد قامته على خمس اقدام وثلث . شعره ابيض ووجهه احمر كثير التجاعد ، وعيناه زرقاوان. واظنه كان عند اول معرفتي به لا يتعدى الحلقة السادسة من عمره . كما كان دائما حسن الهندام وقور الثياب بشكل لا يتنافى مع سنه او مكانته .

ومع ان مكاتبه التجارية كانت في كوب ، الا انه كان يتردد على يوكوهاما . وحدث في ذات مرة ان كنت اقضي بضعة ايام في يوكوهاما ، في انتظار باخرة .. ومضيت الى النادي البريطاني ترويحا للنفس فقدمني احدهم الى بيرتون ولعبنا البريدج سويا . ولاحظت انه كريم ماهر في لعبه . ولم يكن يتحدث كثيرا سواء في اثناء اللعب او عند تناول الشراب . ولكن حديثه على قلته كان معقولا ومتزنا . يستشف المرء منه سخرية هادئة ولكنها جافة . وكان يلوح انه شخصية معروفة لاعضاء النادي . ويقولون انه من احسن الاعضاء . وحدث كذلك اننا كنا نقيم في فندق واحد (جراند هوتيل) ولهذا دعاني في الغداة للعشاء معه . وعرفني بزوجته ، وهي امراة ممتلئة الجسم كبيرة السن باسمة الثغر . كما قدمني الى ابنتيه. وهم يؤلفون جميعا - كما يبدو - عائلة متآلفة متحابة . ولعل رقته المتناهية هي الشيء الذي لفت نظري بصفة خاصة ، بالاضافة الى البهجة التي تشع من عينيه الزرقاوين الصادقتين . وصوته حنون حتى أن المرء لا يتصوره يعلو مهما استشاط غضبا . وابتسامته راضية ، تقرب المرء اليه ويحس الى جانبه بالود الذي يكنه لغيره من البشر . وهو الى ذلك حلو المعشر ليس فيه ما يقزز النفس؟ يشارك الناس في لعب الورق وتناول الكوكتيل ، وفي جعبته طرائف حلوة مستملحة ، وذكريات رياضية لايام شبابه ، يوم كان من عشاق الرياضة وهواتها . وهو غني عصامي كون نفسه بنفسه . وضآلة جسمه ونحوله يدفعان المرء للاحساس بانه لا يقوى على ايذاء ذبابة ، وانه في حاجة لمن يتولى حمايته .

وفي ذات امسية كنت جالسا في بهو الجران هوتيل الذي يغص بمقاعد الجلد المريحة ، اتطلع من خلال زجاج النوافذ الى الميناء الفسيح الذي يموج بالسفن الكبيرة التي تتاهب للابحار الى فانكوفر او سان فرنسيسكو او اوربا (عبر شنغهاي وهونج كونج، وسنغافورة) . هناك متسكعون مكدودون قد لوحتهم شمس البحر . ومراكب صينية تتيه باشرعتها الملونة وصارياتها العالية ، وعديد من القوارب الصينية الصغيرة ينتشر فوق صفحة الماء ، في الحق انه لمنظر ساحر حافل بالحياة يجدر بالمرء ان يمتع العين به ، ولكنه يدعو - ولست ادري علة ذلك - الى سكينة النفس ايضا .

ودخل بيرتون البهو ، وما وقع بصره علي ، حتى اقبل وجلس في المقعد المواجه لي .

- ما رايك في كاس من الشراب ؟

ثم صفق بيديه وامر صبيا باحضار كاسين من الجعة . وبينما الصبي بعد الشراب مر خارج الفندق رجل لوح لي بيده اذ لمحني فسألني بيرتون بعد ان اجبت تحية الرجل بهزة من راسي ، أتعرف تيرنر ؟

- لقد تعرفت عليه في النادي . يقال انه رجل متحول .

- اعتقد انه كذلك . هنا كثيرون من امثاله .

- انه يجيد لعب البريدج .

ـ معظمهم كذلك ، كان هناك في العام الماضي واحد على شاكلته يعد من امهر لاعبي البريدج الذين عرفتهم ، والغريب انه يسمى بنفس الاسم الذي احمله . لعلك التقيت به في لندن . اسمه ليني بيرتون ، ولا بد انه على ما اظن كان عضوا في اندية كبيرة

ـ كلا لست اعرفه .

ـ لقد كان لاعبا ممتازا غير ماكر . ويلوح ان لعب الورق في دمه . كثيرا ما لاعبته في الفترة التي عاشها في كوب .

ثم ارتشف بيرتون بعض شرابه واستمر يقول :

ـ قصته غريبة . انه شخص مقبول لطيف وانيق على شيء من الوسامة . مجعد الشعر مورد الخدين . مما جعل النساء مفتونات به . ولم يكن شريرا ، رغم فظاظته وطبعا كان يدمن الخمر ، فامثاله يكثرون من الشراب في اغلب الاحيان وكان ياتيه في الحين بعد الحين بعض المال من الخارج . هذا بالاضافة الى ما يربحه من اللعب . وانا على علم بهذا شخصيا فكثيرا ما ربح مني .

وقهقه برتون قهقهة عطوفة لا مرارة فيها ، واعرف من المرات التي لاعبت فيها بيورتون شخصيا بانه اذا خسر في البريدج فانما يخسر راضي النفس . ثم مر محدثي بيده النحيلة على ذقنه الحليقة الناعمة وبرزت شرايين وجهه شفافة واضحة .

ـ اكبر الظن ان ذلك هو ما دفعه لمقابلتي يوم افلاسه . خاصة وانه يجمعنا اسم واحد مشترك .

واذهلني انه جاء ذات يوم الى مكتبي يسالني ان اجد له عملا . معترفا بانه لن ياتيه اي مال من بلده ، ولهذا الح في طلبه . وسالته كم يبلغ من العمر ؟

فاجاب : خمسة وثلاثين عاما .

فسالته : وماذا كنت تفعل هنا ؟

قال : لا شيء البتة .

ولم اتماسك نفسي عن الضحك ، وقلت : اخشى انني لا استطيع الان القيام بشيء من اجلك .

لم يتحرك . وشحب وجهه . وتردد لحظة ثم قال انه ابتلى بسوء الحظ في اللعب ولهذا سيتوقف عن لعب البريدج والبوكر .. وانه لا يملك شيئا ، فقد رهن كل ما لديه ، ولم يعد قادرا على تسديد حساب الفندق ، كما امتنع الفندق عن اقراضه اي شيء الى ان تتحسن حاله .

لقد اصبح معدما وسينتحر اذا لم يجد عملا . خاصة وانه زاد من تناول الخمر اكثر من المعتاد ، وبدا كانه كهل في الخمسين من عمره . وليس لفتاة ان تفتن به اذا راته على هذه الحال .

فسالته : اليس ثمة شيء تجيده غير لعب الورق ؟

فاجاب : اجيد السباحة .

ـ السباحة !

وما كنت لاصدق اذني . فما كنت اتوقع منه مثل هذا الرد .

ـ لقد كنت امثل جامعتي في السباحة .

وفهمت ما يعنيه . فما اكثر الطلاب الذين كانوا في جامعاتهم اشبه بآلهة صغيرة فاستحوذ ذلك على خيالهم .

قلت : لقد كنت شخصيا سباحا ماهرا في صدر شبابي . وفجأة لمعت فكرة في خاطري .

وتوقف محدثي بيرتون عن سرد قصته ومال ناحيتي ثم سالني : اتعرف كوب ؟

فاجبته : كلا ، مررت بها ذات مرة ، ولكنني لم اقض بها غير ليلة واحدة .

ـ اذن فانت لا تعرف نادي شيوبا . على كل حال اذكر انني في شبابي سبحت من النادي ودرت حول المنار الى ان بلغت خليج تارومي . وهي مسافة ثلاثة اميال فقط ، ولكنها رغم ذلك صعبة شاقة بسبب التيارات العنيفة حول المنار . ومن ثم قلت للشاب ـ شريكي في الاسم ـ انني ساجد له عملا اذا استطاع قطع تلك المسافة سباحة .

ولاحظت تراجعه .

فقلت : الست تقول انك سباح ماهر ؟

فاجاب : لست الان في حالة جيدة .

فلم اقل شيئا وهززت كتفي . ونظر الي لحظة ثم هز راسه موافقا .

وقال : حسنا موافق . متى تريد .

وتطلعت الى ساعتي ، فرايتها قد تعدت الساعة العاشرة بدقائق .

ـ ان قطع المسافة لن يستغرقمنك اكثر من ساعة وربع الساعة . ساذهب بالسيارة الى الخليج في النصف بعد الثانية عشرة فنلتقي هناك . ثم اصحبك الى النادي لكي ترتدي ثيابك ، وبعدئذ نتناول الغداء سويا .

وصافحته وصافحني . ودعوت له بالتوفيق .

وعلى الرغم من كثرة اشغالي في ذلك الصباح فقد استطعت التوجه الى الخليج عند تارومي في النصف بعد الثانية عشرة . وما كنت في حاجة الى الاسراع فانه لم يصل الى الشاطىء ولم يظهر له اثر .

فسالته : هل تنحى عن قطع المسافة في اللحظة الاخيرة ؟

ـ كلا ، لقد بدأ يسبح على احسن حال . ولكن التيارات حول المنار كانت اكثر مما تحتمل قواه ، وخاصة وان كيانه قد تحطم من كثرة الشراب والانغماس في الملذات . ولم نعثر على جثته الا بعد ايام ثلاثة .

وصمت لحظة فلم انبس ببنت شفة ، اذ صعقت بعض الشيء .

واخيرا سالت بيرتون : عندما عرضت عليه اتفاقك هذا لمنحه عملا ، اكنت تظن انه من المحتمل ان يغرق ؟

فقهقه قهقهة صغيرة ونظر الي بعينيه « الصادقتين » الزرقاوين ثم مر بيده على ذقنه الحليقة وقال :

ـ لم يكن لدي آنئذ اية وظيفة خالية .

حسن السعران

الطفل الزنجي

○

للشاعر الانكليزي

وليم بليك

William Blake

١٧٥٧ – ١٨٢٧

●

ترجمة مرتضى شرارة

○

حملتني امي في البراري الجنوبية
انني زنجي أسود ، كأني محروم من النور
ولكن روحي بيضاء .
بيضاء كروح الملاك .

لقد جلست أمي ذات صباح
في ظلال شجرة
وضمتني الى صدرها وقبلتني
ثم أشارت نحو الشرق وقالت لي :
انظر الى شروق الشمس يا حبيبي
كيف يهب الله العالم النور والحرارة
فتنعم بهما الزهور والاشجار والحيوانات
وتمرح في الصباح المشرق
أو في ضوء القمر !

خلقنا على هذه الارض
لنعيش فترة قصيرة
ونتعلم كيف نملأ قلوبنا
وأجسامنا السود ، ووجوهنا الفاحمة التي تشبه
غيمة قاتمة او ظلال غابة كثيفة – بنور المحبة

وعندما تطفح قلوبنا بنور المحبة
تتلاشى السحب ، ونسمع صوت الآله ينادينا
اخرجوا من الغابة يا اعزائي
وامرحوا حول خيمتي الذهبية
كقطيع من الحملان .

هذا ما قالته لي أمي وهي تقبلني
وقد حكيته لطفل انكليزي
فعندما أتحرر من سوادي
ويتحرر هو من غمامته البيضاء
سنجتمع حول خيمة الآله
ونمرح كقطيع من الحملان الوديعة .
فأعلمه كيف يتسلق ركبتي أبيه
وأعبث بشعره الذهبي
وسوف أحبه .. ويحبني !

ادفيك جريديني شيبوب

بقلم ابراهيم العريض

من المظاهر الملحوظة التي يتميز بها عصرنا الحديث في الحقل الادبي مساهمة المرأة العربية بصورة جدية في مجالات الادب كافة واضطلاعها بواجبها كامرأة على اكمل وجه . فبيننا اليوم كاتبات وشاعرات وناقدات ... كاتبات مجليات كبنت الشاطىء في مصر وعفيفة صعب في لبنان . وناقدات بارعات كامينة سعيد في مصر ووداد سكاكيني في الشام ، وشاعرات مجيدات كفدوى طوقان في نابلس ونازك الملائكة في بغداد وعزيزة هارون في اللاذقية وادفيك شيبوب في بيروت .

وعن السيدة ادفيك حديثي اليوم فقد ساهمت مساهمة فعالة في الحركة النسائية في لبنان بمجلتها الراقية « صوت المرأة » . ولو لم يكن لقلمها من الفضل الا اصدار هذه المجلة المهذبة التي مضت السنون وهي قائمة برسالتها الى المرأة وعن المرأة في حلة فائقة من الاخراج واسلوب جذاب من الحديث وتنويع مقبول في المحتوى لكان في ذلك الكفاية وفوق الكفاية . وانه لحري بالمرأة العربية في كل قطر من ارجاء العروبة ان تستمع على راس كل شهر الى هذا الصوت المنبعث من لبنان الذي صمد الى رسالته الانسانية ومضى – رغم ما يعترضه من الصعاب – يعبر احسن تعبير بما نعهده في طبيعة المرأة من رقة وحنان .

حديثي اليوم (١) عن هذه الفاضلة ولكنه لا يتجاوز مقامها في عالم الصحافة .. وهو رفيع .. الى المحل المرموق الذي تحتله في عالم الشعر . فمنذ اجتماعي بها في ربيع ١٩٥٤ في بهو نادي اهل القلم الذي كان يراسه المرحوم صلاح اللبكي وانا معجب بها وبادبها اكبر اعجاب . وكان اول عهدي بشعرها الجميل هذه الحقول التي كانت تزين بها صفحات مجلة « صوت المرأة » بتوقيع « افروديت » ثم اصدرتها مجموعة في كتاب طبع طبعا انيقا بعنوان « بوح » تكرمت الشاعرة باهداء نسخة منه الي .. كانت بمثابة تحية عطرة من لبنان .

وشعر ادفيك شيبوب لا يتقيد بوزن او بقافية فهو من هذه الناحية شعر مرسل ولكن طابع الاصالة فيه وما تتصف به الشاعرة من رهافة في الحس ونضارة في الروح وحب للخير وعبادة للجمال يرفعان المجموعة الى مستوى عال جدا في معرض الشعر الحديث . وما كان انعمها في اهداء المجموعة بقولها « هو ذا بوحي – خلجات قلبي في مدها وجزرها » وما كان اصدقها في الصراحة المتكتمة فيه .

استمع اليها تتحدث كام الى ولدها في عيد ميلاده السادس في « الشموع الست » :

يا لحلاوة تلك الذكرى ، يا ولدي !
ما اغلاها على قلبي
مر عليها خمس سنوات ... وكانها الساعة
انت امامي
في ضمة من رفاقك
تستطيل على رؤوس قدميك
لتطفيء .. بنفخة واحدة
شموعا ستا
اضأتها انا على كعكك !
واذا وقفت حيالك اراقب
لهب الشموع اللاهثة ونشوة الفرح
تتألقان وترقصان في عينيك
راود راسي ، حينذاك ، حلم لذيذ ...
قلت : حبذا ... يا حبذا ،
لو كان عد هذه الشموع احدى وعشرين
اذن ، لاستطلت انا على رؤوس قدمي ،
لاصل بشفتي ،
الى جبينك العالي ،
واطبع عليه قبلة ...
قبلة وحيدة في القبلات

يا الله ! فلا اذكر مرة اني احسست كاني قد عدت الى طفولتي – الى براءة ايام طفولتي – الا عندما رددت النظر في هذه « الجوهرة » فغمرني ما تزخر به من فيض الحنان . حنان الام الرؤوم .

واستمع اليها تتحدث كزوجة فقدت قيمها فقضى عليها ان تعيش لغربتها في عالم الغرباء في قطعة بعنوان « ضلال » :

... رددتَ اليّ شبابي يا هذا !
زهوة شبابي ، وفرحته ،
وقبل ان يلتقيك
كانت ايامه ولياليه
يباسا وجدبا

(١) اذيع من محطة اذاعة البحرين .

امر بك عجلى
وتصافح عينك عيني
فكان دنيا من الوحشة المقطبة
تنزاح من دربي
وافتح بوابة قلبي ، واردها عليك

او ليس عجيبا ان يحدث هذا كل صباح
وانت بعد غريب
قد تكون تتساءل عن اسمي
كما اتساءل انا عن اسمك

ضنينة بسري انا
حتى عنك ، حتى عن نفسي
اضمه على حذر ، شان ما غلا وعز
اكتفي منك بالنظرة ...
استرقها في هنيهات غفلتك
فينعشني رفيف حلو
ويدب في نشاط
كدت انسى طعم رعشته
اكتفي منك بالتحية المهموسة
اردها ايماءة ...
فيسري جرس صوتك في دمي
زغردة صامتة

.. في الليل لج بي الشوق
فابت الى قلبي
اسكته ... اعاتبه :
« كف عن خفقانك » ، يا قلب ، حرام عليك !

لقد اوجعتني .. لقد اضللتني
ان كان ثمة حب جديد يترعرع بين جنبيك ،
فاصرعه الآن ... قبل ان يقوى هو عليك
خير لك ان تقطع اوتارك وتخنقها ،
من ان تستمر في لحنك اليائس ...
اما ترى ـ ويحك ـ
الخاتم الذهبي ... على اصبعه ! !

ارايت كيف وفقت هذه الشاعرة في تصوير ماساة الغربة ... غربة المراة ... في عالم كله غرباء ؟

واستمع اليها اخيرا كامراة جميلة تدل بجمالها .. في جو من الروحانية ... في قطعتها بعنوان « راس » :

... اطال الفنان الرنو الى راسها المدل ،
راس الامراة الشاعرة
نظراته الحالمة تلتهم وجهها الشحوب برهافة وتامل :
بين صفحة خدها والجبين ،
وبين عينيها والانف ،
وتحط قريرة على العنق العاجي ...

« هذا الراس » ، قال ،
سيخلد في الرخام ، تحت ازميلي واناملي ،
ساعرف كيف انثر خصل الشعر الحائرة حول وجهك ،
رش بنفسج بري ،
للاذن من تحته طلة هلال طفل ...
وساعرف كيف الاقي الجفنين في شبه غمضة ،
فلا يبدو من فتون عينيك الا رموشهما ...
وسابقي الجبين هكذا ... عاليا متحديا ،
ويا لرعشة الشفة الممتلئة فوق الذقن الادق !
وبمسحة من سناء سالف الراس متمما
اما روعة الجسد ... فيا للخيال الخصب ! !

ستخلدين على يدي . في عروق الرخام الابيض .
خفقة من حياة ...
انثى .. شاعرة
ستخلدين على الدهر .
تحفة فني .
بعد ما اطوى انا .
وبعد ما تطوين ...

وراحت انامل الفنان . ترعى راسها لمسا رشيقا .
وخيل الى الشاعرة لحظة ،
ان في لمسه بعض حنان ،
وان في نظراته شيئا اعمق ! !

حقا اني كل ما انشدت لهذه الفنانة الملهمة وجدت في شعرها كثيرا من الحنان .. لا بعضه .. وفي فحواه العمق كل العمق ... لا شيئا منه . وهذا هو سحر الشعر الحديث .

البحرين ابراهيم العريض

قصة قصيرة

ثوبها الجميل

بقلم حليم بركات

الحان عذبة تسمعها في قلبها قبل ان تسمعها باذنيها وهي مستلقية على « الصوفا » قرب الراديو . نقرات الانامل على البيانو جردتها من جسدها فما احست انها مستلقية وتناست العرق على جبهتها. احست انها مجرد قلب وفكر اتحدا وتاها في الريح والمطر يتساقط في اعماقهما نقطة تلو نقطة . نقاط تتساقط ببطء فتحس انها تسمو تائهة وراء شيء لا تدرك الا انه جميل . انها قطعة موسيقية لشوبان ــ اقرب الموسيقيين الى قلبها .

وتمثلته يعزف امامها « البولونيز » كما شاهدته في فلم « اغنية للذكرى» وجورج صند ترقبه بحنق من بعيد . وعبرت في راسها صورة ثانية : سمعت استاذه « جوزف النرنر » يطلب منه مساعدة للبولونيين الاحرار الذين سجنوا لكفاحهم في سبيل استقلال بلادهم . واذ قال شوبان انه لا يستطيع ان يقدم اي مساعدة ناوله كيسا من تراب بولونيا والتفت الى جورج صند يقول ببطء وحزن وحزم .. ان كل كلمة من كلماته تحفر ذاتها في ضميرها : « في راي، ياسيدتي ، انه ليس حيا الان !! »

وحبيبها سمير مثل شوبان في تلك اللحظة .. « انه ليس حيا .. » لقد مات في قلبها . لا لم يمت فهي ما زالت تكرهه بقدر ما تكره هذه الايام القاتمة التي تمر في حياتها . لم تكن تتصور انه بهذا المقدار من الوقاحة وقلة الذوق . لقد اخبرته كل شيء عن ماضيها . اخبرته عن علاقتها بنديم ذاك الذي وهبته اكثر من قبلة ثم هرب منها . واخبرته عن منير ــ خطيبها الاول ــ الذي اختفى فجاة من حياتها تاركا اياها في تيار من ياسها . لو لم تحبه بكل ما فيها من امكانية للحب لما اخبرته . احبته بكل قلبها وفكرها فاذا الحب يغسلها من كل خطيئة او شعور بها . لقد وثقت به كل الثقة رغم فشلها في حبهامرتين . وهو ، عندما اخبرته ، اما ضمها الى صدره الصغير الدافىء وقال وشفتاه تتململان في خصلة من شعرها : « هدى .. كل ما يهمني في الوجود هو انني احبك . كل ما يهمني انك بين يدي الان . الماضي دعيه . لا تخافيه ابدا يا هدى . لقد فقدت حبيبين .. ولكنك لم تفقدي السمو في الحب . انت احببت واخلصت في حبك ، فما ذنبك اذاكان هذان لا يقدران السمو والاخلاص في الحب . هما اللذان هربا من وجه الحب ما انت . نم يا هدى .. يهمني انك بين يدي الان ، وانك تفهمين هذا القلب الذي ينبض من اجلك ولن ينبض في المستقبل الا من اجلك . »

تذكر ان كلماته هذه حركتها في تلك اللحظة فمرغت راسها على صدره ولم تقل شيئا انما بكت .

وكادت تستسلم لتيار ذكرياتها لو لم تشعر بيد تهز كتفها وتسمع صوت اختها : قومي . قومي . حضري نفسك . خلص الوقت .

ــ اتركيني .

ــ اتركيني ؟ خلص الوقت . اما تفهمين ؟

ــ قلت اتركيني .

ــ كفاك موسيقى . كل يوم تسمعين الساعة الثامنة الان . لقد تاخرنا .

ــ دعيني . لن اذهب .

ــ لن تذهبي ؟ عيد ميلاد بنت عمك . والدعوة رسمية ؟ كيف لا تذهبين ؟

ــ لن اذهب . دعيني .

وحنقت اختها فاندفعت نحو الراديو وادارت مفتاحه قائلة :

طول النهار موسيقى ! قومي البسي

ــ قلت لك لن اذهب ، فهل تعتقدين انني اذهب اذا اسكت الراديو

وهرولت اختها الى الغرفة الثانية صارخة بحنق : مجنونة . مجنونة .

وعادت هي الى تفكيرها : « كيف تذهب وهوسيكون هناك؟ كيف يمكنها ان ترى وجهه ثانية . راته يسير مع فتاةجميلة . كان سعيدا وهو يسير معها . لم تره صدفة فقد تربصت له بعد ان اخبرتها صديقتها وداد انها تراه كل يوم برفقة فتاة جميلة . وكلمته بواسطة التلفون طالبة موعدا. وعندما جاء في الوقت المحدد لم تصافحه رغم انه مد لها يده بنشوة . لقد انفجرت في وجهه قنبلة تناثرت شظاياها في اذنيه :انت خائن . مجرم . سافل .

انفعل ولكنه قال محافظا على هدوئه : اسمعي هدى .

وقاطعته بحنق : لا اريد ان اسمع. هدى ؟ لا تلفظ اسمي يا وقح .

ولم يعد بامكانه المحافظة على هدوئه فقال : وقح ؟ وقح ؟ ما بك ؟ هل جننت ؟

ــ جننت ؟ لا لم اجن . لقد عدت الى رشدي . كنت مجنونة عندما احببتك .

وبكت فعاد يقول بهدوء : هدى . ارجوك . لماذا تتصرفين هكذا ؟ لا افهم ابدا . وزاد هدوءه من غضبها : انت مثل كل الرجال . مثل كل الرجال . يجرمون ثم يتظاهرون بالبراءة . انت مجرم . مجرم . سافل . اذهب من امامي .

غضب وكان على وشك ان يتمسك بها ويهزها متسائلا عن معنى كلماتها لو لم تستمر في كلامها : هل تعتقد ان الجهل بلغ بي هذا الحد ؟ هذه الفتاة التي تسير معها كل يوم ؟ كل يوم يا مجرم .

وفي فورة غضب صفعته على وجهه بقوة فاحس بها كما احس بعيون بعض الناس تصفعه ايضا وهي تراقبه من شرفة الاوتيل . وما استطاع ان يتمالك نفسه فضربها قائلا : اذهبي من امامي . من انت لتحاسبيني ؟ ماذا يخصك ؟ انا حر . اسير مع التي اريد . اسمعت ؟ وقحة . غيورة . غيورة . لو كان في راسك عقل لحاولت ان تعرفي من الفتاة .

وتركها وحدها تبكي . ما كان يجب ان تبكي . انه لا يستحق حتى ان تفكر به فكيف تبكي ؟ هذه ليست اول مرة يهينها بها . في الحفلة الراقصة التي اقامها فاضل اما تركها وراقص لور ـ تلك التي لا شيء لها الا جسدها المثير . رقص معها عدة مرات بشكل فاضح مما جعل رفيقتها وداد تأتي اليها وتقول : ما به سمير ؟ يبدو لي انها سيطرت عليه . انظري كيف يرقص معها .

كل ما فعلته في تلك اللحظة هي انها صرخت برفيقتها : وإذا ؟ حلي عني انت وهو .

وتناست تلك الحادثة كما تناست كثيرا من هفواته . كيف تنسى حالا ؟ انها لتعجب كيف يمكنها ان تتناسى وتقبل بعدها عليه وفي عينيها الحب والحنين والسعادة وكأن شيئا لم يحدث . ما اجهلها ! هل يعميها الحب عن الحقائق ؟ كانت دائما تنظر الى الحب كشيء جميل يقربها من الحقيقة ، فاذا الحب يجعلها جاهلة تندفع وراء رجل وكل همها ان تندفع كيف اخبرته عن ماضيها ؟ وكيف تغاضت عن هفواته ؟ ما الذي جعلها تندفع وراءه ؟ انها لا تدري . اذن كيف تعتبر نفسها تتقرب من الحقيقة عندما لا تدري ماذا تفعل ؟ هل التقرب من الحقيقة يفترض فيها الا تعرف ماتفعل ؟ هذه سخافة . اذن لقد كانت تبتعد عن الحقيقة فيماكانت تظن انها تقترب منها ، انها جاهلة .

وتنبهت الى نفسها عندما سمعت نداء جارتها الحاد البشع لابنها : يا ود..يع . يا و... د..ي..ع.

وادركت حالا ان الموسيقى . موسيقى شوبان .. لم تعد .. فقد اغلقت اختها الراديو حقيقة،نهضت عن « الصوفا » بسرعة وادارت مفتاحه ثم عادت واستلقت في مكانها تكرر نداء جارتها وقد زاد صوتها حدة وبشاعة حتى كانه يحز في عظامها . وسمعت اختها تتكلم مع امها بصوت عال .. كما انهمرت في اذنيها نقرات الماء في الحمام فعرفت ان اخاها يأخذ دوشا . وما ضاعت هذه الاصوات في اذنيها الا عندما ضاعت هي في الالحان المنبعثة من الراديو .

وتابعت تموجات الموسيقى فاذا في آفاق تفكيرها راقصة « باليه » طويلة القامة رفيعتها يلفها رداء ابيض حريري . جسدها الجميل ـ وكأنما هو ليس بجسد ـ يتموج مع الموسيقى ومع الرداء الابيض ومع الالوان انطلاقا وخفة وبراعة .. وكأنما لم تعد تلمح الجسد فلم يعد هناك غير الرداء الابيض يتلوى .. ويتلوى .. وفي قلبها شيء يتلوى معه .

تلاشت الراقصة وتلاشى الرداء وتقلصت آفاق تفكيرها . وذاك الشيء الذي يتلوى في قلبها لم يعد يتلوى. نهضت عن الصوفا مذعورة فوجدت اختها منتصبة امامها بعد ان اغلقت الراديو فصرخت : باي اذن تفعلين هذا ؟ قلت لك اريد ان اسمع موسيقى . فيجب ان اسمع .

وقاطعتها اختها صارخة : اسكتي. كفاك سخافة . قلت لك خلص الوقت يجب ان نذهب . يجب ان نذهب . أسمعت ؟

ـ لا . لم اسمع ولا اريد ان اسمع

واطل اخوها وكان ما زال ملتفحا منشفة الحمام وتساءل بحدة : ماهذا الصريخ ؟ التفتت اختها اليه وقالت : اسالها هي .

ـ ما بها ؟

ـ لا تريد ان تذهب الى الحفلة .

اقترب منها وقال بهدوء : هدى ! هيا قومي . لقد تأخرنا قليلا .

واجابته بمثل هدوئه : رجاءً ارجوك دعني وحدي .

وجلس قربها على الصوفا : ما بك؟

واجابته بحدة : ارجوك . دعني وحدي .

احس انه لا يستطيع ان يظل هادئا فقال بغضب : ما هذه الجوابات السخيفة. قلت لك ما بك. فاجيبيني على سؤالي هذا .

وصرخت : انت ايضا ؟ اذهب عني. لا اريد ان اذهب . لا اريد ان اذهب. مفهوم ؟

وتدخلت اختها ثانية : اتريدين ان نقبل رجليك لتذهبي . كفى حماقة يا مجنونة . ونهضت هدى عن الصوفا صارخة بصوت مرتفع : مجنونة ؟ مجنونة ؟ مجنونة ؟ اتريدين اي شيء اخر . لا احد يحاول ان يفهم

وضج البيت باصوات مختلطة صاخبة حانقة عامت فوق امواجها هذه الكلمات : حمقاء .. مجنونة . لا اريد . جهنم . ما هذه العيشة ؟ دعوني .. حرة . بلا حياء . بلا شعور .. بلا ذوق .

ودق جرس البيت فاذا هذا الضجيج يموت في ذروته ويسود المكان هدوء كاد يكون عدما لولا ان فيه حيوية الترقب الصامت .

بدا الهدوء يتلاشى عندما خطا الى الامام وفتح الباب فدخلت وداد ، صديقة هدى وقالت : مساء الخير .

واجابها الجميع ما عدا اختها : مساء الخير .

تبع ذاك وجوم خافت هدى ان يطول فتطلعت الى قامة صديقتها الطويلة والى ثوب السهرة الجميل وقالت محاولة ان تخفي غضبها واضطرابها : ما هذه الفخفخة ؟ شيء جميل جدا .

وجاءت وداد تجلس قربها فتركهما اخوها ثم اختها . عاد الحزن يرمي ظلاله على وجه هدى مما جعل صديقتها تشعر انها لا تستطيع الآن تصمت . وحاولت ان تهرب من الصمت بالتطلع الى اظافر اصابعها المجددة والى حذائها الابيض الجميل ولكنها بعد فترة وجدت نفسها تقول: هدى ! ما بك ؟

واجابتها دون ان تتحرك : لاشيء.

ـ لم انت حزينة ؟

وما استطاعت الا انتخبر صديقتها كانما هي بحاجة ان تنسى كل شيء : اما تعرفين ؟

ـ سمير ؟ أليس كذلك ؟

وضحكت غير انها خنقت الضحكة في فمها : متاسفة ! هل من جديد ؟

ـ لا . ابدا .

ـ في الحفلة مجال للتفاهم .

تحركت في مكانها حركة ارادتها ان تعبر عن غضب ولكنها لم تكن ناجحة . الحفلة ؟ التفاهم ؟ لن اذهب الى الحفلة ولن نتفاهم .. انني ابغضه . احتقره . واجابتها صديقتها في وجوم : وهل يمنعك هذا من الذهاب .

ـ اذن لن اذهب انا ايضا .

ـ ولماذا ؟

ـ هل اذهب وحدي؟ قبلت الدعوة على اساس انك انت ذاهبة .

ودفنت راسها في الوسادة تفكر: يجب ان تذهب . لا يمكنها ان تحرم صديقتها من هذه الحفلة . ثم انها لن تبقى وحدها في البيت . وابنة عمها ستغضب . يجب ان تذهب .

ورفعت راسها تريد النهوض ولكنها اعادته الى الوسادة ثانية : وماذا

سيكون موقفها من سمير . لن تكلمه؟
لا . من الافضل ان تكلمه ولكن باقتضاب وبلا مبالاة كي لا يشعراحد انهما متخاصمان .
نهضت قائلة : طيب . ساذهب ولكن من اجلك انت ؟
وضحكت صديقتها متسائلة : من اجلي وحدي ؟
وهزت رأسها بأسف : طبعا . تأكدي يا وداد انني لا اهتم به ابدا .
ـ مستحيل .
وجحظت عينا هدى : مستحيل ؟ انني ابغضه . اكرهه . احتقره . ألا تصدقين ؟
ـ اصدق . وهذا ما يجعلني اقول انك تهتمين به .
ـ ماذا تقصدين ؟
ـ لا شيء . قومي والبسي ثيابك .
وارتمت جالسة على الصوفا بعد ان وقفت : لن اذهب قبل ان أعرف ماذا تقصدين ؟

وضحكت صديقتها فيما هي تنظر اليها من طرفي عينيها ولم تجبها فعادت هدى تقول : لماذا تضحكين ؟ اريد ان اعرف .
ووقفت وداد ثم عادت فجلست قائلة : هدى ! انت ما زلت تحبينه .
وانتفضت هدى : قلت لك انني ابغضه . اكرهه . احتقره .
ابتسمت وداد وقالت مشددة على كلماتها : انت تحبينه لانك تبغضينه وتحتقرينه .
وقفزت عن « الصوفا » ضاحكة ساخرة : احبه لانني ابغضه واحتقره! مجنونة . سخيفة .
واندفعت الى غرفتها فظلت وداد وحدها تقلب احدى مجلات السينما . استمرت في مراقبة صورها حتى بعد ان جاءت اختها هدى وجلست قبالتها قائلة : اهلا وسهلا .
واجابتها هي : شكرا .

جاء الاخ وسلم بحرارة ثم جلس على طرف المقعد بحرص وتأنق. ساد الصمت فعادت تراقب صور المجلة بينما ظل هو يراقبها باحثا عن كلمة يقولها . ووجدها فقال : كيف اقنعت هدى بالذهاب ؟
ـ لم اقنعها .
وقالت الاخت : لا ادري لماذا هي كذلك . في بعض الاحيان تصبح اعند من حائط .
وابتسمت وداد لجهله عندما قال محاولا شرح سبب عنادها وتخلفها عن الحفلة : انها تحب الموسيقى حبا جنونيا . انها تفضل الموسيقى على اي شيء اخر . عندما تغرق في الموسيقى لا تهتم باي اعتبارات .
ساد الصمت ثانية وطال الانتظار. وكان على وشك ان ينهض ويدعوها لو لم تظهر فجأة امامهم . وكان ظهورها مرتدية ذلك الثوب الرياضي مفاجأة لاختها فصرخت : ما هذا ؟ مجنونة انت ؟
تطلعت هدى الى نفسها ثم قالت : ماذا ؟ ما بك ؟
ـ غيريه حالا . انت ذاهبة الى حفلة لا الى رحلة. غيريه حالا. واجابت هدى باقتضاب : هذا شغلي .
وصرخت اختها ثانية : بلا قلة ذوق . اذهبي وغيريه . انت ذاهبة الى حفلة . أتعرفين ما معنى حفلة ؟ انها سهرةرسمية. رسمية. اسمعت!
وجلست قرب صديقتها قائلة . هذا شغلي . ولا اريد ان يتدخل احد بشؤوني .
ـ غيريه والا انادي امي .
ناديها .
وجاءت الام فما رأتها مرتدية ذلك الثوب حتى قالت : هذا غير لائق يا هدى .
ـ انه لائق بالنسبة لي .
ـ لا . لا يا بنتي . اذهبي وغيريه.
وصرخت هدى بغضب : لا استطيع ان اكون حرة في اي شيء ؟ انا لم اعد طفلة . لا اريد ان اسمع هذه الكلمة ثانية والا افضل ان ابقى هنا .
والتفتت الام الى وداد قائلة : الا ترين انه غير لائق يا انسة ؟
لم تجب وداد اذ عرفت ماذا يعني هذا الثوب . . انه الثوب الذي يفضله سمير .
لن تضحك وان تمنت !

حليم بركات

في المقبرة اللاواعية

o

لقد مات ، كل شيء
حتى اولئك الذين نعرفهم ،
منذ أمد بعيد
أمسوا عظاما بالية
نحفر لها قبورا في رؤوسنا المتعبة
كل شيء ، مات
حتى المستنقعات ، جف ماؤها
والعصافير ، كفت عن الزغردة
والجداول ، هصرت طحلبها
كل شيء ، مات
وظللت ، أنا وحدي
أسير ، نحو هدف قارص
وحلم ، غامض ، جميل ، وأزرق
انها ليالي الشتاء الهادرة
تنفث فيَّ الدفء ، أبدا ، لاقوم
لكني مضطجع ، على حافة السرير
أدثر نفسي ، وجمجمتي ، بالاعاصير
وأزحم كل شيء ، حتى اللاشيء ..!
ما فائدة الزحام
اذا كانت المدينة خاوية
وملجأ للقطط ، والكلاب المسعورة
لقد مات ، كل شيء
حتى اولئك الذين أحببناهم دنفا
وبنوا قبورهم الرخامية
في أدمغتنا اللاواعية
ولم نعد نراهم حتى في الحلم
كل شيء ، مات
حتى الحلم الذي نستعذبه ، ونهواه
مات ، من حيث اماتنا الضجر
وعشعشت عناكب الملل
على شجيرات عقولنا المشتتة
تنسج ركاما ، من خلل ، واندحار
ما فائدة الصلاة
اذا كانت القلوب تتنة ..
والحقول بلا زنبق ، أو عرار
والغابات ، لا ينمو فيها الصنوبر
والدردار
الا نادرا ، في سهوب الفناء

هيت ـ العراق • طـراد كبيسي



فن السيرة

لاحسان عباس – ١٧٧ صفحة – دار بيروت للطباعة والنشر بيروت

تحتل التراجم والسير ، بانواعها المعروفة من ادبية وفنية وتاريخية ، مكانا مرموقا بين الاداب العالمية وتواريخ الامم ، لانها تتناول دراسة النواحي العامرة بالحياة ، والنابضة بمقولات الذهن والافاعيل النفسية والروحية ، حتى ان الدارس للادب والتاريخ لا يسعه الا ان يتعمق ناحية السير والتراجم ووبمتاح من التجارب الصادقة التي تحفل بها .. وربما كان وقع الاهتزازات النفسية في ظل السيرة اكثر تأصلا من سائر الانواع الادبية ، بسبب من شمول السير لمظاهر النمو الانساني من عهد الطفولة واليفوعة الى مراتب النضوج الذهني والفني .. وحسبها انها تجمع الى التجربة الحياتية الوانا من الامتداد الحضاري في مجالات التقويم والتهذيب والمثالية ، عنيت التاثير التعليمي البطولي في بعض السير التاريخية ...

ولعل الافادة من دراسة السيرة ، وبخاصة السيرة الفنية القريبة العهد بالحرف العربي ، ضرورية لفهم مظهر من مظاهر حياتنا الادبية ، الذي يستقطب التجارب الذاتية المثخنة بمدلولات التعابير القيمية والانسانية .. ولا يقلل من اهمية ذاتية السيرة ، هذا التطور نحو الجماعية في الاهداف والمثل « فقد تزول عبادة الابطال من النفوس ،وقد يفقد الفرد معنى التفرد الاناني ، ولكن شيئا واحدا لا يزول هو هذه التجارب الحية ، وطريقة التعبير عنها ، وكل ما سيحدث ان المفهومات الجماعية ستنعكس على تلك التجارب وتصبغها بلون جديد » [المقدمة ص – ٦] .. فلهذه الدوافع المخلصة ، ولايمان الدكتور احسان عباس بقيمة وقوة السيرة ، طلع علينا بكتابه الطريف « فن السيرة » ..

ينهض هذا الكتاب على خمسة فصول وهي : تاريخ السير عند المسلمين – نحو السيرة الفنية – الدرجة الفنية في السيرة – السير الذاتية ، نظرة عامة – السيرة الذاتية في الادب العربي ، ثم يعقب ذلك فهرست للمصادر والاعلام .. ويبدو ان الدكتور الفاضل لم يكلف نفسه وعثاء التحليل المستقصي والدراسة التحليلية العميقة ، انما مزج – باعترافه – بين العرض التاريخي والتحليل غير المستقصي لبعض النماذج ، مقسما نظرته فى السير بين الادب العربي والادب الغربي من اجل شمول النظرة والاكثارمن الامثلة. ولكن هذا الشمول والنظرة العجلى قد اساء الى الدراسة اساءة لا محيد عنها ، لانه افقدها من عنصر هام ، وهو الاستيعاب الدقيق لاطراف الموضوع والتاصل في درس الجوانب الانسانية في السيرة . وتبعا لذلك اصطبغت الدراسة بصبغة عامة بصبغة « فوتوغرافية » خالية من الارتكاز احيانا على مدامك الموضوعية البحتة.. ولعل المؤلف معذور لهذه الهفوات ، نظرا لصعوبة الالمام بصورة شاملة لفن السيرة . فقد يولي اهتمامه الى معالم كثيرة ولكنه ينسى عن غير قصد، او لراي يراه ، معلمة او اكثر من النماذج والشخوص والمقومات المثلية. وهكذا اضطر الى التصوير « الخارجي » لفن السيرة ..

غير ان المعين الثقافي الذي يزخر به الكتاب ، والاسلوب السهل الذي يميل الى حد السذاجة العلمية المحببة للنفس ، قد مكنا للكاتب سبل النجاح واثارة التشويق في ذهن القارىء ، فضلا عن روح النقد التي تبرز بين تضاعيف الكتاب .. فتراه تارة يغمز من جانب العقاد ، وينقد تحيزه في التقدير ووضعه الافتراضات دون برهان كما صنع في كتابته عن سيرة معاوية ، فتخرج من نقد المؤلف بان العقاد انما ابتدأ يحاكم شخصية معاوية وهو مبغض له وعلى خطأ وقع فيه وهو ان معاوية قدير لا عظيم ، واول شرط يراه الدكتور احسان ضروريا في حكمنا على الاشخاص ان نتجرد من الحب والبغض ونعالج سير الاشخاص بالتعاطف.. وتارة اخرى نجد المؤلف ، يحاكم ، ويفاضل ، ويناقش كتاب السير من خلال عرضه لالوان السيرة .. ومع ذلك تراه احيانا يعنى بالتسليم بصحة الحقائق التي يتدارسها حتى تخاله في طرحه لبعض الاراء ، لا يعطينا رأيا شخصيا محضا ، بل هو معني بالتصوير والاستطراد في ضرب الامثلة ، وقد تكون هذه الطريقة السمحة ، من عقابيل طيبة النفس وسلامة النية ، والحكم النقدي كما نعلم يستدعي دوما النظر بعين الحذر والحيطة والدربة والمجالدة في استيطان الحقائق . (١)

ان الحديث عن السير شيء يثقل على القارىء فهمه ، بيد ان مهارة الكاتب في اختيار النماذج والاصول ، مما اكسبت الموضوع سهولةوعذوبة، فقد التزم المصادر المعروفة والمراجع الدانية الحصول ، فهي لا تعسر الدراسة على الفهم والتذوق .. فاثبت ان الغذاء الفكري ممكن تبسيطه وتلوينه بطعم رائق يسهل على المتلقي هضمه ، اذا توفرت لدى الدارس القدرة على الاختيار واللمح والعطاء السائغ .

مجمل القول في هذ االكتاب ، انه يحمل الجدة والطلاوة وسحر التناول ولكنه لا يعدم نقصا في استكناه اغوار الموضوع والغوص في بحار العنوان .

عبد الرحمن علي

البصرة – العراق

الياس ابو شبكة وشعره

لرزوق فرج رزوق – ٢٨٨ صفحة – حجم كبير – ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره – دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت

ان كل مثقف واع يبوىء الياس ابا شبكة مكان الصدارة بين الشعراء العرب في العصر الحديث فهو شاعر فذ وقصائده مفعمة بصدق التجربة ، نابضة بالحياة ، غنية بالاحاسيس والانفعالات فيها كل مقومات الخلق الفني المبتكر مع استغراق رائع في الوصف والتصوير ، وابداع في المخيلة . وتناغم في الموسيقى ، وله طريقة خاصة في تلوين الصور وابراز معان مستمدة من فلسفة الحياة واسرار الطبيعة الخلابة التي كان يعايش طيفها الجميل محلقا في آفاق الخيال المجنح ، سابحا في سراب الظلال والاحلام ، صادق التعبير عن حالات النفس الانسانية . جائش العواطف بالدفقات الشعورية ...

(١) انظر مقالة الاستاذ عيسى الناعوري المنشورة في الاديب – عدد اكتوبر – بعنوان « بين جبران ونعيمه » فهي تعقيب وتفنيد لراي ضمنه الدكتور احسان عباس كتابه « فن السيرة » يذهب فيه الى ان كتاب جبران خليل جبران – لميخائيل نعيمة قد استوفى عناصر السير الفنية ويصفه بالحيوية والصدق في عرض الحقائق . ففي الاراء التي بثها الناعوري مجال خصب لاثارة الشك والتحرج وكشف الحقائق .

والقارىء لشعره يحس بان الكثير منه يحتاج الى القاء ضوء ساطع عليه للكشف عن بواعث نظمه . وتبديد الضباب الكثيف عن شخوص عشيقاته اللواتي يكتنفهن الغموض ، حتى طلع علينا الاديب الموهوب رزوق فرج رزوق بدراسته القيمة عن الياس ابي شبكة فاظهر جوانب عديدة من شخصيته وما كان من تأثير جلي واضح للتوراة والادب الفرنسي الرومانسي في نتاجه الفكري ، وسرد لنا الحوادث والقصص التي تكمن وراء شعره الخالد . فأورد لنا لمحة مقتضبة عن شمشون قاضي العبرانيين الذي كان يسوم الفلسطينيين سوء العذاب ويمعن فيهم تقتيلا .. حتى سلطوا عليه (دليلة) تلك المرأة الصارخة الانوثة ، الجذابة الملامح ، الساحرة الجمال ، فاستطاعت ان تستحوذ على قلبه . وتأسر عقله ، فوقع في شرك غرامها ، وذاب وجدا بحبها ، وهي أروع ما تكون شبابا وفتنة . فعرفت ان كنه قوته الجسدية الخارقة في شعر رأسه . وبينما كان يغط في نوم عميق أمرت الحلاق ان يقص شعره ولم يلبث ان فقد شمشون قوته الجبارة التي كانت تشيع الخوف والهول في ربوع فلسطين .. فاطفئوا نور عينيه واصبح اعمى ... ولكن سرعان ما طال شعره وعادت اليه قواه المنهارة فمسك باعمدة الهيكل حيث كان معتقلا وقال علي وعلى اعدائي يا رب ثم هدمها فهدم معها الهيكل على من فيه.

وفي (غلواء) القصة الشعرية التي تهز الضمائر وتمس شغاف القلوب تكلم عن (وردة) المرأة اللعوب ...

وفي هيكل الشهوات وهي من مجموعة افاعي الفردوس يحدثنا الاديب المبدع رزوق فرج رزوق عن احدى عشيقات الياس ابي شبكة تلك الارملة التي كانت تسكن مع طفلها البريء في زوق ميكائيل قرية الشاعر فتمكن الياس ابو شبكة من استدراجها بمحاولاته الجهنمية ففرق العاشقان في الغرائز الجنسية بنهم . وكان يتسلل اليها في جوف الظلام وتحت المساء حتى اذا ما اطل الفجر من نافذة السماء باشعته الفضية رجع العاشق المتيم يحث الخطى الى بيته ...

وفي حياة الياس ابي شبكة اربع حبيبات منهن ليلى السمراء التي الهمته اشعار ديوانه الممتع (الى الابد) والذي يتسم باسلوبه الخطابي وتعابيره المنتقاة . وجرسه الرفاف . ولكن الشاعر الحالم بقي وفيا لحبيبته الاولى (غلواء) وقد اصاب ابو تمام الشاعر العباسي كبد الحقيقة حيث قال ...

كم منزل في الارض يالفه الفتى	وحنينه ابدا لاول منزل
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى	ما الحب الا للحبيب الاول

وفي امسية من امسياته البوهيمية الحمراء قال الشاعر الياس ابو شبكة مخاطبا احدى عشيقاته العابثات وقد عاودته ذكرى حبه الاول..

يا ابنة الاثم هذه شفتايا	فارشفي منهما رحيق الخطايا
واعصري ما استطعت قلبي فقلبي	لم تزل فيه من غرامي بقايا
وتوقي احدى زواياه لا تقسي	فلي حرمة باحدى الزوايا
ان في قلبي البغي خيالا	من عفاف ما فاجرته البغايا
ان تكن حفتني المدماة ملكي	فخيال العفاف ملك سوايا

وحين كان يعالج سكرات الموت في المستشفى الفرنسي ببيروت لفظ انفاسه الاخيرة وهو بين يدي زوجته اولفا متأثرا بسرطان الدم ذلك الداء العضال ..

ومن اللفتات الرائعة حقا في هذا الكتاب النفيس هي رد المؤلف على الدكتور شوقي ضيف الذي تحدث عن اللذة الصارخة في افاعي الفردوس بكتابه « دراسات في الشعر العربي » فقال ان الشاعر الياس ابا شبكة كامثاله من الشعراء يقول ما لا يفعل ، فشعره الاباحي هذا هو من نسيج الخيال وصنيع الاوهام وحظه من الواقع ضئيل . ولكن البحاثة البارع رزوق فرج رزوق افحمه قائلا ان الدكتور المذكور نظر الى الياس ابي شبكة من زاوية ضيقة ، ولم يجشم نفسه مشقة البحث ومتابعة فصول حياة الشاعر الذي عرف بالصراحة والجراة . وغاب عن ذهنه ان شعره مرآة صافية انعكست عليها ظلال حياته وسمات روحه ، فكان متقد الشعور . مهوما في أودية الالوان والرؤى ...

ومن هنا جاءت اهمية الكتاب وخطورته . فقد بذل المؤلف الفاضل في اعداده جهده كبيرا مستعينا بمختلف المصادر والبحوث ، واتصل باولفا زوجة الشاعر وباخيها يوسف ساروفيم فمدا اليه يد المساعدة وذللا له الكثير من المصاعب التي اعتورت سبيله واستقى منهما معلومات ضافية لها صلة وشيجة بحياة الشاعر والظروف القاسية التي احاطت به ، والملابسات التي رافقت مغامراته الغرامية . والالام التي احدقت به. ودرس مؤلفاته النثرية والشعرية بدقة واخلاص . وازاح الستار عن عبقريته الوهاجة التي تأتلف فيها عناصر الفن الشعري وتزخر بطاقات عاطفية متفجرة .

وقد كتب هذه الدراسة الشيقة بافاضة وافية تتسم بالاصالة والعمق . وبينائه المحكم الذي يشف عن ومضات ذهنية متفتحة . فازدانت المكتبة العربية بهذا السفر الجليل وولج مؤلفه دنيا الخلود من اوسع ابوابها واشرف على ذروة الكمال ، وقدم للادب العربي خدمة جلى لا تقدر بثمن ... وان كل من يقرأه مهما كان متزمتا لا يسعه الا ان يبدي اعجابه الشديد به ، وان يزجي الثناء العاطر الى صاحبه المالك لعدة النقد الادبي ، الواثق من تعابيره ، المطمئن الى سياق تحليله ، يصور كل ذلك باسلوب روائي أخاذ . وعبارات سلسة رخيمة الاداء ، مع انتقاء الالفاظ وايثار المحسنات ورصانة التركيب التي تنم عن ذوقه الفني الرفيع ...

وكان له من سعة معارفه وغزارة اطلاعه وعمق نظرته ان اوفى على الغاية وشق طريقه فحصل على المكان اللائق به بين الرعيل الاول من الادباء العرب ، وسيحدث كتابه الطريف اثرا ملحوظا في الحركة الادبية فيدفعها الى السمو والنمو للتوفر على الانتاج الفني الخصب ...

بغداد — خضر عباس الصالحي

طريق الوحدة الاقتصادية والبلاد العربية

ليونس صالح الحريثي — ٢٢٨ صفحة — مطابع دار العلم للملايين بيروت

مما تجدر الاشارة اليه ان مؤلف هذا الكتاب القيم الاستاذ يونس صالح الحريثي شغل منصب معاون مدير الصيرفة في البنك المركزي العراقي كما شغل منصب معاون الابحاث والادارة في البنك المذكور. وننشر فيما يلي مقدمة الكتاب بقلم المؤلف فهي خير تعريف بهذا البحث القيم:

كنت اطمع منذ ان انهيت تحصيلي الجامعي في ان انفرغ للبحث والتعمق في وسائل تصنيع البلاد العربية وتوحيدها اقتصاديا ، لان هذه الوسائل في اعتقادي تكفل انهاض اقتصادياتها المتخلفة وتنمية قواها الانتاجية واستغلال مواردها الاقليمية على احسن وجه ، وبالتالي تكفل تحسين احوالها المعيشية والجمع بينها في صعيد واحد . ولقد تهيأ لي انجاز جزء من هذه المطامع باصدار كتابي الاول عن اساسات التنمية الاقتصادية وهو يبحث في اسس تنظيم الموارد واستغلالها بشكل افضل وتنمية طاقة الانتاج الوطني بوجه عام . وقد اعقبت ذلك باصدار كتاب تطور اقتصاديات الشرق العربي الذي يبحث موضوع التنمية من الناحية العملية وذلك بقدر ما يتعلق الامر بالبلاد العربية .

ومن الواضح لكل امرىء ان الكتابين المذكورين يعالجان موضوعين متكاملين ، « فما احوجنا عند دراسة تطور اقتصاديات الشرق العربي الى فهم اسس التنمية الاقتصادية فهما حقيقيا ، ذلك اننا باعتبارنا امة ناهضة نريد ان نبني عالمنا العربي في تطوره على اسس اقتصادية سليمة،

وكل تخطيط لا يقوم على هذه الاسس مآله الفشل والعياذ بالله » .

ان هذا الكتاب الذي يعالج موضوع الوحدة الاقتصادية يتصدى للبحث عن افضل الوسائل للتصرف بالموارد الاقليمية وذلك من مختلف النواحي النظرية والعملية ، ولقد افردت الفصل الاخير منه للبحث بوجه خاص في موضوع الوحدة الاقتصادية بين البلاد العربية ، وهذا موضوع على اكبر جانب من الاهمية في وقتنا الحاضر .

واود ان اشير هنا الى انه قد جرى بتاريخ ٦ آب [اغسطس]١٩٥٦ التوقيع على اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين سوريا والاردن ، وهذه على ما اعلم اول اتفاقية تتضمن انشاء الاتحاد الاقتصادي الشامل بين دولتين عربيتين مستقلتين في نطاق الجامعة العربية ، وهي تقضي بوجوب ضمان الدولتين لحرية العمل والاستخدام والاقامة والتملك لرعايا كل منهما ، أي ضمان حرية انتقال الاشخاص ورؤوس الاموال بينهما بدون عائق او تقييدات ، واعتبار البلدين وحدة جمركية واحدة ، وتنسيق وتوحيد القوانين المالية والتشريعات الاقتصادية المتعلقة بالضرائب والصناعة والزراعة وسائر اوجه النشاط الاقتصادي .

وقد حملت لنا الصحف قبل اعلان الوحدة الاقتصادية بين سوريا والاردن بيوم واحد فقط ، خبرا مفاده ان المندوبين الاقتصاديين لتسع دول عربية يجتمعون في لبنان للبحث في وضع مشروع الوحدة الاقتصادية بين البلاد العربية . وبعد اسبوع تردد ان المؤتمرين قد انتهوا من اعداد مسودةمشروع للوحدةالشاملة ، وبقي ان يرسموا الخطوط المقتضية لتنفيذه

والمهم في هذا الصدد هو ان تتوفر في مشروع الوحدة جملة المتطلبات الاقتصادية والشروط والخصائص العامة التي عنينا بايضاحها واتينا على تحليلها ومناقشتها بشيء من التفصيل في هذا الكتاب . ومهما يكن من شيء فاني ارى ان الوقت قد حان والساعة قد ازفت للبدء بلا ابطاء في توحيد البلاد العربية ، فنحن نمر اليوم في اوقات عصيبة ، ولا ينبغي ن نفوت على نفسنا ما كان يجب ان ننعم به من الوحدة منذ مدة بعيدة ، والضرورات الحاضرة تقضي كلها علينا بان نوحد مجهوداتنا اذا كنا حقا حريصين على النهوض بمستوى بلادنا ، وانماء انتاجيتنا ، واستعجال تقدمنا الاجتماعي والاقتصادي .

واخيرا – وليس اخرا ، اود ان ابين ها هنا ان الوحدة تتطلب منا عمل شيئين متلازمين كل التلازم : الاول مراعاة المساواة التامة في المعاملة بين البلاد العربية ، والثاني الالتفات الى ضرورة اشتراكها جميعا في تحمل التضحيات والتمتع بمختلف المنافع والخيرات الناجمة عن تحقيق الوحدة . فلا ينبغي ان يكون هناك مثلا تمييز في المعاملة بين عراقي وسوري او مصري واردني لاي سبب كان ، فالكل يجب ان يعاملوا على قدم المساواة في الاتحاد الاقتصادي ، وذلك فيما يتعلق بحق العمل والاقامة والتملك والاستثمار والانتقال والاتجار والاستنفاع من سائر المزايا والفرص التيتخلقها لهم الوحدة، واننا بهذافقط نستطيع انتحقق ما نصبوا اليه من انهاض شأن البلاد العربية ، وتنمية اقتصادياتها وايجاد فرص متكافئة امام جميع العرب لكي يعملوا على زيادة مستوى انتاجيتهم والظفر بدخل اعلى والاستمتاع بمستوى اعلى من المعيشةوالحضارةوالتقدم

المنظمـات الاقتصاديـة الدوليـة

للدكتور جابر جاد عبدالرحمن – ٢٠٤ صفحة – حجم كبير – منشورات معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية–مطبعة دار الهنا [؟]

هـذه مجموعات محاضرات القاها الدكتور جابر جاد عبد الرحمن على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية في معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية بالقاهرة . وقد قدم لها بكلمة وافية نشرها فيما يلي :

١ – التنظيم الاقتصادي وضرورته في كل دولة : تتميز عناصر الانتاج او موارد الثروة ، بقدرتها على انتاج سلع مختلفة قابلة للتداول، كما تتميز بندرتها بحيث لا يمكن انتاج سلع تكفي الناس جميعا . وقد دفعت هذه الندرة الى قيام المنافسة بين الافراد سواء أكانوا من المنتجين حيث يتسابقون في الحصول على اكبر كمية من عناصر الانتاج ام من المستهلكين حيث يسعون في الحصول على اكبر قدر من السلع الكاملة الصنع لاشباع حاجاتهم .

فاذا تركت الامور تجري في اعنتها بدون تنظيم فان هذه السياسة قد تؤدي الى التطاحن فيما بين الافراد ، ومن مظاهر هذا التطاحن ان يحاول البعض اغتصاب ما في يد البعض الاخر من موارد او سلع ، وان يحاول البعض الاخر رد العدوان بالعدوان فتقع الفوضى ويعم الارتباك .

ولهذا يتضح للعيان انه من الافيد للناس جميعا ان يسود القانون والنظام حتى تجري المنافسة ضمن حدود مرسومة وحتى يعيش الافراد جنبا الى جنب يمارس كل منهم حقوقه ويتقيد بواجباته وان ينعموا بمزايا النظام والامن وان يتمكنوا من اشباع حاجاتهم اكبر اشباع ممكن . وقد تحقق هذا عبر السنين ، فوجدت في كل جماعة مستقرة ، او بعبارة اخرى في كل دولة ، مجموعة من القواعد والعادات والقوانين تحكم الحصول على وسائل الانتاج واستخدامها وترسم الحدود التي تجري في نطاقها المنافسة ، وهذه القواعد والعادات والقوانين تكون في مجموعها ما يسمى بالنظام الاقتصادي .

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية يعمل النظام الاقتصادي في كل دولة (سواء كانت رأسمالية ام اشتراكية ام فاشية) على تذليل كافة الصعوبات وحل كافة المشاكل التي تحيط بالموضوع .

– فهو الذي يقرر من الذي يتولى رقابة استخدام عوامل الانتاج ، سواء أكانوا منظمين او اعضاء في لجنة تخطيط وتصميم مع تزويدهم بالسلطات الادارية اللازمة .

– وهو الذي يقرر ما ينبغي ان تكون عليه حصيلة انتاج كل عامل من عوامل الانتاج ، ككمية المحصول من قطعة ارض معينة ، وكمية الناتج المنتظرة من كل عامل .

– وهو الذي يقرر اي نوع من السلع يجب ، اذ ان عوامل الانتاج يمكن استخدامها في وجوه مختلفة ، فهل يلزم انتاج كمية من القمح أكبر من كمية القطن ، وهل يجب الاكثار من المحاريث بدلا من الاسلحة او العكس ؟

– وهو الذي يقرر كيفية التاليف بين عوامل الانتاج المختلفة حتى يمكن تحقيق اكبر ناتج ممكن .

– وهو الذي يرسم كيفية توزيع السلع بين الافراد الذين تحددت حاجاتهم، كأن يقرر اتباع طريقة التقنين او تحديد الاثمان ومنح الدخول ، او اعطاء كل شخص بقدر حاجته .

ويعتمد هذا النظام الاقتصادي في سيره على دعامتين : واحدة ادبية واخرى مادية .

فحتى يسير النظام الاقتصادي سيرا هادئا باقل حد من النزاع وخرق لقواعد السلوك يجب ان تؤمن الغالبية الكبرى من الناس الذين يشملهم هذا النظام بالقيم التي ينطوي عليها ، بحيث تعتقد انه احسن الانظمة من الناحية الادبية وانه مرغوب فيه من الناحية العملية ، كما انه يبدو في ناظرهم كشيء طبيعي لا مناص منه ، وفي مثل هذه الظروف لا يشعر الاشخاص بانهم في كفاح تنافسي او مصالحهم المتعددة في تنازع جوهري كما انهم يتسون غالبا الرقابة الاجتماعية التي يمارسها النظام الاقتصادي في اشرافه على استخدام وسائل الانتاج .

غير ان الاجماع على القيم السالفة بين الافراد امر صعب ان لم يكن مستحيلا ، فقد تعتقد بعض الجماعات مثلا انها تحصل على اقل من نصيبها

او ينبغي ان تحصل على اكثر من نصيبها وعندئذ يجب الالتجاء الى القوة والاكراه لالزام هذه الجماعات باحترام قواعد النظام . لكن ينبغي ان نقرر ان الالتجاء الى هذه الوسيلة يجب ان يكون الى حد محدود ، فكل نظام تسنده القوة وحدها هو نظام وقتي حتما ومآله الى الزوال .

٢ ـ التنظيم الاقتصادي الدولي وضرورته : واذا كانت المنافسة قائمة بين الافراد في كل دولة في سبيل الحصول على السلع والموارد فانها موجودة كذلك بين الدول نفسها بل وعلى نحو اشد تعقيدا فهي ظاهرة لا يمكن تفسيرها فقط تفسيرا اقتصاديا وان كانت مظاهرها الاقتصادية ذات دلالة كبرى ولا يمكن ان نغض الطرف عنها .

وفي هذا المجال ايضا تلعب ندرة الموارد والسلع دورا رئيسيا . فزيادة حصة عوامل الانتاج عند دولة تؤدي الى نقصها في دولة اخرى ، ولذلك نجد كل امة نقصت مواردها تتطلع الى ما هو موجود في دولة اخرى ، وكل امة لديها قدر من الموارد تسعى جاهدة في المحافظة عليه كما تستعد للدفاع عنه بكل وسيلة ممكنة .

فهل يمكن ايجاد نظام اقتصادي دولي بمقتضاه تستطيع المنافسة ان تسير في هدوء بدلا من ان تؤدي الى العنف ؟

لكي يمكن الاجابة على هذا السؤال بالايجاب لا بد من توافر شرطين اساسيين : الاول : ان تصبح القيم التي تؤمن بها الدولة منسجمة انسجاما كافيا حتى يمكن الوصول بسهولة الى الاتفاق على القواعد التي ستنطبق والتي يشملها هذا النظام .

والثاني : وجود منظمات او وكالات تكون واسطة للتعاون بين الدول على ان تزود بالسلطات الكافية لكي تجعل تطبيق القواعد المذكورة ملزما.

فكلما تقاربت شعوب العالم من حيث القيم والمسالك فان الرقابة على استخدام موارد الثروة والحصول عليها ستتحقق من تلقاء نفسها كما ان الحاجة الى القوة ستقل ، وكلما زادت الهوة بين القيم والمسالك زاد الاعتماد على القوة ، بل واذا انقسمت الشعوب على نفسها من ناحية القيم انقساما يدعو الى اليأس بحيث لا يقوم النظام الاعلى على القوة وحدها فان هذا النظام العالمي سيكون وقتيا وسينهار عندما تتوافر لدى القانطين السلطة الكافية .

وهكذا يبين ان مشكلة التنظيم الاقتصادي العالمي تنحصر في وجود قيم مشتركة تعتنقها الشعوب ورسوخ هذه القيم من ناحية وايجاد وسائل او ادوات لتنفيذ القواعد التي يقوم عليها هذا النظام من ناحية اخرى . فبهذين الاساسين يستطيع النظام الاقتصادي الدولي ان يعمل لكي تسير المنافسة سيرا هادئا وان يعمل على منع الالتجاء الى القوة والعنف ، وبدون هذين الاساسين سوف يتعثر هذا النظام وسوف تستمر المنافسة في الطريق المألوف المؤدي الى الحرب .

لكن اذا كان تحقق هذين الشرطين في النظام الاقتصادي الداخلي سهلا ميسرا فان تحققهما في الحياة الدولية صعب وعسير .

فاذا كانت الحرب الاخيرة قد قضت على الحكومات الفاشية ، فلا زالت توجد دول يقوم اقتصاد بعضها على مبدأ التشبث الفردي والمشروع الحر الرأسمالي ، كالولايات المتحدة الامريكية ، ودول غيرها تقوم على الاشتراكية كالاتحاد السوفييتي ، بل ولا زال النظام الفاشي موجودا في بعض دول العالم الاخرى على الرغم من سقوط المانيا واليابان وايطاليا ، كما ان بعض الدول المختلفة والمستعمرات قد بدأت في سياسة التصنيع وصممت على ان تحمي صناعاتها الناشئة عن طريق التعريفات الجمركية ورقابة الصرف والاحتكارات الحكومية وغير ذلك من اساليب الاقتصاد القومي ، ففي مثل هذا الجو يبدو صعبا التفاهم بين دول العالم طرا على مبادىء عامة وقواعد مشتركة تسهر على تطبيقها منظمات تتركز فيها السلطات اللازمة لوضع تلك المبادىء والقواعد موضع التنفيذ .

لقد فكر البعض في امكان قيام حكومة عالمية تتركز فيها السلطة وتتولى زمام الامور ، ولكن ذلك كان من قبيل الاحلام ، وقد ارتؤي ان اقصى ما يمكن عمله في الوقت الحاضر ان تتعاون الامم فيما بينها داخل منظمة عالمية ، هي منظمة الامم المتحدة ، لكي تسير وفق خطة متبادلة للسلامة المشتركة ولكي تسعى متعاونة في حل مشاكلها الاقتصادية وان تعمل ما في وسعها عن طريق الدعاية والتعليم ، على خلق قيم واتجاهات موحدة لكي تحقق للنظام الدولي الثبات والاستقرار .

ومع ذلك فان التقدم الفني الهائل ، وبخاصة في وسائل النقل والمواصلات واستخدام القوى المحركة ، من شانه ان يقوى الامل في تدعيم النظام الاقتصادي الدولي ، فقد عمل على خلق ثقافة متشابهة بين شعوب العالم ، كما ساهم منذ عهد بعيد في ظهور هذا النظام .

فبالرغم من المحاولات التي بذلت لتنفيذ سياسة الاكتفاء الذاتي وتمجيد الانانية القومية فقد بدأ يظهر اقتصاد عالمي عبر مئات السنين ، لحمته وسداه التخصص الاقليمي والتعاون الاقتصادي بين الامم مع ما يترتب على هذا التخصص الاقليمي والتعاون من زيادة الانتاج .

وقد ادى الاعتراف بهذه الحقيقة الاخيرة الى البحث عن الوسائل التي يمكن بمقتضاها تحقيق نوع من الانسجام بين الانظمة المحلية وتمشية هذه الانظمة مع مستلزمات العلاقات الاقتصادية في نطاق عالمي واسع . نعم ، فتحقيق اقتصاد عالمي يتطلب وجود وتنمية تنظيم اجتماعي قادر على تمييز اجزاء هذا النظام وعلى تهيئة الوسائل الخاصة بحل المنازعات الناشئة عن المنافسة سواء أكانت هذه المنافسة بين الافراد ام بين الطبقات ام بين الجماعات والامم .

٣ ـ المنظمات الاقتصادية الدولية : وتحقيقا للاغراض السالفة ظهرت عبر السنين منظمات اقتصادية دولية معينة اخذت على عاتقها القيام ببعض الاعمال المطبوعة بطابع الدوام والاستمرار ولا يمكن انجازها عن طريق بعض الترتيبات او الاتفاقات قصيرة الاجل .

٤ ـ انواع المنظمات الاقتصادية الدولية : وقد تعددت هذه المنظمات وتنوعت سواء من حيث الغرض الذي قامت من اجل تحقيقه ام من ناحية الشكل القانوني الذي اخذته ام من ناحية الوقت الذي ظهرت فيه :

ـ فمن ناحية الغرض نجد منظمات تعنى ببحث مشاكل المنتجين الدولية ، وغيرها ببحث مشاكل المستهلكين ، وغير هذه وتلك تعنى بالتعاون الدولي في مشاكل النقد والائتمان والتجارة الدولية الخ...

ـ ومن ناحية الشكل القانوني نجد منظمات خاصة دولية اعضاؤها من الافراد او الهيئات الخاصة ، كالحلف التعاوني الدولي ، وغرفة التجارة الدولية الخ... ومنظمات عامة دولية اعضاؤها هي الحكومات كالاتحادات العامة الدولية ، مثل اتحاد البرق ، واتحاد البريد وغيرهما ، ومنظمات مختلفة دولية مكونة من الحكومات والافراد كمنظمة العمل الدولي.

ـ واما من الناحية التاريخية فقد ظهرت هذه المنظمات على ثلاث مراحل : المرحلة الاولى وتبدأ بانتصار المذهب الحر وتنتهي بابتداء الحرب العالمية الاولى ، وقد ظهرت في هذه المرحلة منظمات عديدة كالحلف التعاوني الدولي ، والاتحادات العامة الدولية ، كما قام التعاون الدولي بين المنتجين وبين البنوك المركزية على اساس قاعدة الذهب .

واما المرحلة الثانية فهي مرحلة ما بين الحربين العالميتين الفائتتين ، فقد ظهر في خلالها منظمات اخرى كبنك التسويات الدولية ، ومكتب العمل الدولي ، وغيرهما .

واما المرحلة الثالثة والاخيرة ، فقد بدأت بانتهاء الحرب العالمية الاخيرة واستمرت حتى وقتنا الحاضر . وقد ظهرت فيها منظمات اقتصادية دولية عديدة كصندوق النقد الدولي وبنك الانشاء والتعمير ، وبعض المنظمات الاقتصادية الاوروبية والمجلس الاقتصادي والاجتماعي وما يتبعه من منظمات وغير ذلك مما سنفصله في حينه .

٥ ـ خطة البحث : وسنجري في بحثنا لهذه المنظمات على اختلاف اغراضها واشكالها على اساس تأريخي فندرس في فصول ثلاثة يعقب بعضها بعضا المنظمات الاقتصادية التي ظهرت قبل الحرب العالمية الاولى اولا ثم تلك التي ظهرت فيما بين الحربين العالميتين الماضيتين ، ثم المنظمات التي ظهرت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ثالثا واخيرا .



المؤتمر التاسع لمنظمة اليونسكو

●

يعقد مؤتمر اليونسكو العام حاليا دورته التاسعة [من ٥ نوفمبر الى ٥ديسمبر ١٩٥٦] في بناء جديد في نيودلهي شيدته لهذا الغرض حكومة الهند .

ويتضمن جدول اعمال المؤتمر ٢٢ موضوعا واهم هذه الموضوعات ، عدا تحديد برنامج المنظمة وميزانيتها لعامي ١٩٥٧ – ١٩٥٨ ، « مشروعات كبرى » للمنظمة سيوليها اعضاء المؤتمر عناية خاصة ، اذ تعتبر اهم مظهر جديد في برنامج عمل المنظمة . وتتناول هذه المشروعات الكبرى :

– التوسع في التعليم الابتدائي في امريكا اللاتينية .

– البحوث العلمية الخاصة بمشاكل المناطق القاحلة ، وهي المناطق التي تمثل ثلث مساحة السطح الارضي للكرة الارضية .

– العمل على دعم تقدير القيم الثقافية في الشرق والغرب على نحو متصل متبادل .

واما مشروع برنامج المنظمة وميزانيتها فقد أعده الدكتور لوثر ايفانز ، مدير اليونسكو العام ودرسته الدول الاعضاء وناقشه اعضاء المجلس التنفيذي لليونسكو . وسيناقش هذا المشروع للمرة الاخيرة في المؤتمر العام التاسع، وتتخذ بشانه قرارات اخيرة على ضوءتوصيات المجلس التنفيذي وتعليقات الدول الاعضاء والامم المتحدة والمنظمات الدولية المتخصصة والمنظمات الكبرى غير الحكومية .

وتقدر ميزانية اليونسكو لعامي ١٩٥٧ – ١٩٥٨ بمبلغ ٢١،٦٠٦،٠٠٠ دولار ، أعني بزيادة مليون دولار تقريبا عن ميزانية العامين الماضيين . ويتضمن البرنامج الجديد زيادة في المساعدات المباشرة للدول الاعضاء بنسبة ٥٠ بالمئة عن البرنامج السابق . وتتناول هذه المساعدات المباشرة ميادين لا يشملها برنامج الامم المتحدة للمساعدة الفنية . ونذكر في هذا المجال ان نصيب اليونسكو فيبرنامج الامم المتحدة هذا سوف يرتفع بنسبةمحسوسة، اذ سيكفل في العامين المقبلين ايفاد ٦٣٠ خبيرا في بعثات للمساعدة الفنية مقابل خمسمائة خبير اوفدتهم المنظمة خلال العامين السابقين .

ومن اهم اعمال المؤتمر الاخرى انتخاب احد عشر عضوا جديدا لمجلس اليونسكو التنفيذي (نصف مجموع الاعضاء) ، وهو المجلس المسئول عن سياسة المنظمة وتنفيذ برنامجها في الفترة بين انعقاد دورات المؤتمر العام . وينتخب اعضاء المجلس التنفيذي بصفة ممثلين لحكومات بلادهم ، فهي التي ترشحهم هذا ، وسيتخذ المؤتمر العام قراره بشان طلبي انضمام تونس ومراكش لمنظمة اليونسكو، وقد نظر هذان الطلبان امام المجلسالاجتماعي والاقتصادي للامم المتحدة واوصى بقبول عضويتهما مجلس اليونسكو التنفيذي .

ويستعرض اعضاء المؤتمر الاعمال التي حققتها المنظمة في الدول الاعضاء على اساس التقارير التي قدمتها هذه الدول، وعلىاساس تقرير عن مناهج عمل شعباليونسكوالقومية .

كما يستعرض الاعضاء قائمة المنظمات الدولية غير الحكومية التي تتمتع بصلة استشارية باليونسكو (وعددها الان ١٢٥ منظمة) ، وينظر الاعضاء في طلبات ٣٤ منظمة جديدة . وقد ادرج فيمشروع الميزانيةالجديد مبلغ ١،٦٢٤،٥٥٠ دولار بصفة اعانات مالية لست وثلاثين من تلك المنظمات ، وسيحظى باكبر نصيب من هذه المنح المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الانسانية والاتحادات العلمية.

ومن أهم موضوعات جدول اعمال المؤتمر فيما يتعلق بنشاط سكرتارية اليونسكوونذكر:

– الدعوة لعقد مؤتمر حكومي يقرر النشاط الدولي الذي يجب تحقيقه لتقدم البحوث العلمية في مجال (نمو الخلية) .

– تقرير عن دور اليونسكو الحالي في

– تقرير عن دور اليونسكو الحالي في ميدان استخدام الطاقة الذرية فيالاغراضالسلمية .

– توفير الوسائل للتعليم الصحفي .

– توصيات للدول الاعضاء بشأن اللوائح الدولية الخاصة بالحفائر الاثرية .

– العمل على تشجيع حرية تداول الانباء هذا ، وسيقرر مؤتمر نيودلهي مكان وموعد انعقاد الدورة العاشرة لمؤتمر اليونسكو العام .

مشروع برنامج اليونسكو

●

منذ عشر سنوات ظهرت منظمة اليونسكو الى النور ، وكم تغيرت منذ ذلك العهد احوال العالم مهما ساوت هذه الفترة في حساب الزمن لحظة واحدة . فقد سجل العالم من النتائج العلمية والاجتماعية ما يفتح له آفاقا جديدة ، وادركت الشعوب – وما زالت تتقدم في ادراكها – ان العمل الجماعي هو خير السبل لتحقيق سعادة المجتمع الانساني . ولم يعد هذا المبدأ مثلا أعلى نجهد في الوصول اليه ، بل اصبح من ابرز قوى العالم الحديث ، وان في وجود اليونسكو وتطور نشاطها لاوضح دليل على هذا .

ومنذ عشر سنوات عندما اجتمع مندوبو احدى واربعين حكومة ليقرروا انشاء منظمة اليونسكو ، كان المبدأ الذي استندوا اليه في ذلك يقول : اذا كانت الحروب تنشأ فينفوس البشر ففي هذه النفوس يجب ان نقيم اسوار السلام » . وما كان اعمق ايمان هذه الحكوماتبامكان تطبيقهذا المبدأ في صور حية من النشاط في ميادين التربية والعلموالثقافة، بل ما كان اعمق ايمانها بان مثل هذه الجهود وحدها هي التي تكفل التقدم والسلام

واما اليوم فنستعرض الحقائق ، بعد ان اصبح لليونسكوست وسبعون دولة عضوا تفخر جميعا بما ادركته المنظمة من نتائج ملموسة ، وما حققته من اعمال هامة مثمرة : ففي تطبيق الوسائل الفنية للتربية الاساسية اصبح للعالم جهاز قوي يكفل لنصف سكانه المعارف الاولية التي يحتاجون اليها لتحسين نظامهم الاجتماعي ورفع مستوى حياتهم . وفي اذاعة الحقائق العلمية والموضوعية ما ساعد على مكافحة الاكاذيب الخطرة القائمة على اساس العقائد السائدة. وكم من الاف الاشخاص تهيأت لهم بمساعدة اليونسكو فرصة للعمل والدراسة والتدريب والسفر الى الخارج ، وكم افادت هذه الفرص البلاد التي يتبعها هؤلاء الافراد . وفي جميع انحاء العالم افادت المكتبات العامة والمتاحف من خدمات الاستعلامات والتوثيق مما تكفله اليونسكو . وبرعاية هذه المنظمة الدولية وبعونها المالي انشئت منظمة للبحوث الذرية تجمع التني عشرة دولة اوروبية ، وكان اول هدف لها انشاء معمل تجريبي دولي للبحوث الذرية بالقرب من جنيف . ونستطيع ان نورد عشرات اخرى من هذه الامثلة التي تقوم شاهدا على جهود اليونسكو في مختلف ميادين البناء الدولي .

ولا نستطيع ان ندعي بكل هذا ان اليونسكو قد حققت رخاء الانسانية ، فما زالت هناك مناطق مظلمة تعمل فيها معاول التوتر والشقاء والمرض والجهل مما يسيء الى كرامة الانسان ويعوق سير التقدم . ولكن اليونسكو تسعى كل يوم بما اكتسبته من تجربة حية

الى الكشف عن مواطن الداء ومعرفة الوسائل التي تكفل نجاح نشاطها . ومن ناحية اخرى اصبحت الدول الاعضاء تدرك ادراكا اوضح المشاكل التي تعترض سبيل تقدمها . وعندما نستعرض مشروع برنامج المنظمة لعامي ١٩٥٧ـ ١٩٥٨ ندرك اهمية النتائج التي ادركتها اليونسكو خلال العشر سنوات الماضية ، والمحاولات التي ما زالت تقوم بها ، والاخطاء التي وقعت فيها فانارت لها السبيل .

الى اي غاية يتجه برنامج المنظمة في العامين المقبلين ، وما هي اهم اسسه ؟ في هذا المقال نستعرض المشروعات التي يدرسها مندوبو الدول الاعضاء خلال انعقاد الدورة التاسعة لمؤتمر اليونسكو العام في نيودلهي [من ٥ نوفمبر الى ٥ ديسمبر ١٩٥٦]

مشروعات كبرى

من اهم المظاهر الجديدة في برنامج اليونسكو للعامين المقبلين مشروعات وضعت تحت بند خاص بعنوان « مشروعات كبرى » . ومهما ظهرت هذه المشروعات للمرة الاولى في برنامج المنظمة تحت بند « خاص » ، الا انها في الحقيقة تطور منطقي لنشاط المنظمة السابق في سبيل تحقيق بعض الاهداف الجوهرية التي اقترحها المجلس الاقتصادي والاجتماعي للامم المتحدة ومؤتمر اليونسكو العام .

وكان امام اليونسكو ان تختار لهذا البند اهم المشاكل الملحة التي تواجهها الدول الاعضاء في المنظمة ، وكان يجب ان يقع الاختيار على الميادين التي اوصى المؤتمر العام في عام ١٩٥٤ بان توليها المنظمة « عناية خاصة » ، وتعني بهذه الميادين : التعليم المجاني والالزامي ، والتربية الاساسية ، ومظاهر التوتر العنصري والاجتماعي والدولي ، والتقدير المتبادل للقيم الثقافية في الشرق والغرب ، واخيرا البحوث العلمية الخاصة بالنهوض بمستوى الحياة بين الجماعات البشرية المختلفة . وقد أجرت سكرتارية اليونسكو اتصالاتها الاستشارية بالامم المتحدة ومنظماتها المتخصصة والمنظمات الدولية غير الحكومية ، ووضعت على الاثر اربعة اقتراحات قدمتها الى مجلس اليونسكو التنفيذي ليقرر الموافقة عليها توطئة للبدء في تنفيذها خلال العامين الماليين ١٩٥٧ـ١٩٥٨ وتتناول هذه الاقتراحات الاربعة :

- التوسع في التعليم الابتدائي في امريكا اللاتينية (تدريب المدرسين) .
- البحوث العلمية الخاصة بالمناطق القاحلة .
- التقدير المتبادل للقيم الثقافية في الشرق والغرب .
- انتاج كتب المطالعة للكبار الذين تعلموا القراءة والكتابة حديثا .

وعلى اثر دراسة هذه المشاكل من جديد ، قرر مدير اليونسكو العام العمل ، خلال عام ١٩٥٧ ، على تحقيق المشروعات الثلاثة الاولى :

اولا ـ التوسع في التعليم الابتدائي في امريكا اللاتينية

خطت بلاد امريكا اللاتينية في مجموعها نصف الطريق نحو تعميم التعليم الابتدائي . غير ان هذه البلاد التي تشمل نصف قارة باكملها لا تزال تحتاج الى وفرة من المدارس والمدرسين حتى تستطيع ان توفر هذا التعليم لابنائها .

ويهدف مشروع اليونسكو اساسا الى تحسين ومضاعفة امكانيات التعليم الابتدائي المتوفرة حاليا ، وعلى الاخص في المناطق القروية في بلاد امريكا اللاتينية العشرين . وسيكون امام كل بلد ان يضع برامجه وان يحدد هدفا يدركه خلال فترة تنفيذ هذا المشروع ، وان يوفر الميزانية المطلوبة لذلك ، ويشيد الابنية المدرسية اللازمة ويدرب المدرسين التدريب اللائق .

واما مساهمة اليونسكو في نشاط هذه البلاد فقد تأخذ شكلا او اشكالا كثيرة : ايفاد خبراء ومنح بعثات للخارج وتنظيم تحقيقات للدارسة وارسال وثائق وبيانات واخيرا الاشتراك مع منظمة الدول الامريكية في تمويل مدرسة المعلمين القروية في روبيو بفنزويلا ، وفي تنظيم حلقة دراسية في عام ١٩٥٨ .

ثانيا ـ غزو الانسان للصحراء

واما مشروع اليونسكو الكبير الثاني فهو وحي ظاهرة واضحة : فالمناطق القاحلة وشبه القاحلة في العالم تشمل ربع او ثلث سطح مساحة الاراضي . ولكي تعمل اليونسكو على مساعدة سكان تلك الفيافي الواسعة على تحسين ظروف حياتهم ، اخذت منذ حين تنفذ برنامجا خاصا يتضمن تشجيع البحوث ، واذاعة المعلومات العلمية التي يفيد الخبراء من الرجوع اليها ، وتنسيق الاعمال الهامة في مختلف ميادين البحوث الخاصة بالمناطق القاحلة .

وتفكر اليونسكو في التوسع في نشاطها في هذا الميدان خلال السنين الست المقبلة ، وذلك بدعم الجهود التي تبذل في ١٤ دولة تشمل في مجموعها منطقة واسعة من العالم تمتد من اطراف اوروبا الى جنوب آسيا مارة بالشرق الاوسط كله . وسيعهد بتنظيم هذا البرنامج الواسع الى لجنة اليونسكو الاستشارية للبحوث القاحلة ، وهي اللجنة التي انشئت منذ عام ١٩٥١ وتجمع تسعة خبراء عالميين من مختلف البلاد .

ويتناول مشروع مساعدة اليونسكو في هذا الميدان تشجيع انماء وسائل تدريب خبراء البحوث وتأليف فرق للبحوث مزودة بالعتاد الفني اللازم ، وانشاء معامل تجريبية ووضع برامج للبحوث ، واذا توفرت هذه المساعدة عن طريق معاهد البحوث الاقليمية أثمرت ثمارا طيبة دون ان تتكلف الا القليل . وحتى تعمل اليونسكو على مضاعفة الجهود التي تبذل في سبيل حل مشاكل المناطق القاحلة ، ستساهم في انشاء لجان قومية ومحلية للتعاون تكون مهمتها الحفز على تطبيق برامج المناطق القاحلة واجتذاب انظار الجماهير اليها .

وفي نطاق هذا المشروع ادرجت اليونسكو طائفة من الاعمال الخاصة التي تنوي تنفيذها خلال العامين المقبلين ، كانشاء مركز للبحوث الخاصة بتنقية المياه المالحة ، للعمل العاجل على ازالة اول عقبة تعترض سبيل تحسين ظروف الحياة في المناطق القاحلة ، فلن يتم ذلك الا بايجاد وسيلة عملية لتوفير المياه لتلك الاقطار . كما تنوي اليونسكو انتاج مواد للقراءة تزود الكبار الذين تعلموا القراءة والكتابة حديثا بمعلومات عن وسائل حفظ التربة واصلاحها . ونذكر ايضا في هذا المجال « مشروعا تجريبيا » يهدف الى توطين القبائل وادخال النظم الاجتماعية في نطاق حياتهم ، وتوجيه افراد هذه القبائل نحو الزراعة بما يتمشى والتقدم العلمي .

ثالثا ـ التقدير المتبادل للقيم الثقافية في الشرق والغرب

كانت ضرورة تشجيع التفاهم بين مختلف شعوب العالم ـ وعلى الاخص بين شعوب الشرق والغرب ـ والتقدير المتبادل للقيم الثقافية لدى الجانبين من أهم الاهداف التي تسعى منظمة اليونسكو الى تحقيقها .

وتوقن شعوب الشرق عامة بان خير شعوب العالم جميعا يعتمد على حسن تقديرها لخصائص الحضارات الشرقية . والبلاد الغربية من ناحيتها تشارك الشرق هذا اليقين الى حد قريب او بعيد . غير انه حدث ان وسائل نشر الثقافة تفرض تيارا للتبادل الثقافي يتجه غالبا من الغرب الى الشرق ، وعلى الاخص في قالب معلومات وافكار علمية وفنية ، مما ادى الى نتيجتين يجب الوقوف حيالهما : الاولى ان الغرب لا يعرف الشرق معرفة كافية ، والثانية ان بلاد آسيا وغيرها من الاقطار تتلقى عن الغرب فكرة لا تمثل مجمل الحضارة الغربية الا تمثيلا ناقصا . والى مثل هذا الافكار المبتورة المشوهة يرجع السبب في عدد كبير من مشاكل العالم المعاصر .

والامر لا يتوقف على مجرد اعطاء شعوب الغرب فكرة اوسع واكمل عن القيم الثقافية في الشرق ، اذ الواجب على الامم الغربية نفسها ان تدرس عن قرب اثر مدنياتهم في الشرق ، فهي بذلك تستطيع ان تعمل على ايضاح الغامض او المشوه من عناصر تلك

المدنيات ، بل وتحفز على الاهتمام بها وتضع برامج علمية للنشاط تمهد لكل جانب معرفة بل وفهم تاريخ مختلف الشعوب في الجانب الاخر ، وادراك اصولها الثقافية وتراثها العقلي والفني وابتكارها ومدى حساسيتها وخصائصها النفسية والاخلاقية .

ومن اهداف هذا المشروع الكبير تشجيع اشتراك خبراء الشرق والغرب في اعمال عامة. ويتضمن البرنامج المقترح : اعداد مؤلفات للمراجع الثقافية كدائرة معارف للقارة الاسيوية ، ودليل للاداب العالمية ، ودليل لمعاهد الدراسات الشرقية ، وتاريخ للفن الاسلامي — فمثل هذه المؤلفات لا غنى عنه للمتخصصين او لوضع مؤلفات لتثقيف عامة الجماهير . هذا ، ويتناول المشروع اجراء دراسات اجتماعية عن اثار الشرق الحديث في الغرب الحديث وبالعكس، وايفاد باحثين الى الجامعات والمعاهد الاجنبية ، وتبادل العلماء والاساتذة المشهورين، وعقد اجتماعات دولية لدراسة المشاكل التي تنتج عن التبادل بين ثقافات الشرق والغرب .

ويتضمن هذا المشروع الكبير ايضا العمل على النهوض بالتعليم المدرسي الخاص بالثقافات الشرقية والغربية ، ومنح بعثات للسفر الى الخارج يفيد منها المدرسون ومديرو التعليم . ومن ناحية اخرى ، تنوي سكرتارية اليونسكو تشجيع تبادل المعلومات بين الشرق والغرب ، مستخدمة في ذلك احدث وسائل الانباء مع الاعتماد على منظمات الشباب ومعاهد تعليم الكبار . ومن اهم الاعمال التي تنوي اليونسكو ايضا القيام بها في هذا المجال تشجيع ترجمة الروائع الادبية التي تجيد وصف ثقافة وحياة الشعوب الشرقية في العهد الحديث . وفي هذا المجال ايضا ستشجع اليونسكو تبادل الاعمال الفنية من قطر الى اخر ، وذلك بتنظيم معارض متنقلة جديدة تشمل صورا منسوخة للاعمال الفنية ، والعمل على نشر الاعمال الموسيقية المعاصرة .

وستركن اليونسكو في تنسيق كل هذه الجهود الى معونة منظمات قومية ستساهم اليونسكو فنيا وماليا في انشائها .

المترجم : لغوي ودبلوماسي

●

كان الفرق بين السماح للولايات المتحدة باعادة قواتها الى المانيا المجردة من السلاح ، ومنعها من ذلك ، حرف جر ...

قال احد الدبلوماسيين اخيرا : نحن ميالون للظن بان المترجمين « شيء » يمكن الحصول عليه بعشر سنتات للدستة . فكل من الم بلغتين ظنناه كفؤا للمهمة » .

وقال دبلوماسي اخر ان بعض المترجمين الذين انتدبوا لحضور بعض المؤتمرات الدولية كانوا من الضعف والعجز والفشل بحيث انهم لا يصلحون حتى لمرافقة انسان الى محطة السكك الحديدية .

ان اصعب ما يواجه اعضاء اي مؤتمر دولي اليوم ليس فيما يتضمنه جدول الاعمال من مشكلات تستدعي البحث العاجل ، ولكنه في ايجاد المترجم الامين الذي يصلح لترجمة كل ما يقال في المؤتمر ترجمة دقيقة ، امينة وسريعة . ويرى خبراء اللغات الدبلوماسية ان عدد المترجمين الدوليين الاكفاء لا يزيد عن ١٢٠ مترجما في جميع انحاء العالم .

يبدأ يوم هؤلاء المترجمين في العادة عند الساعة العاشرة صباحا ، ويستمر حتى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي ، فيما عدا فترات متقطعة للراحة وتناول الطعام . فاذا حان وقت الانصراف ، هرعوا الى بيوتهم ليتناولوا اقراصا منومة ، وليزعجوا زوجاتهم « بالترجمة » اثناء النوم ...

وتستخدم الامم المتحدة ٥٦ مترجما من مترجمي المؤتمرات الاكفاء . وعلى كل واحد من هؤلاء المترجمين ان يكون امينا امانة مطلقة لما يحاول الخطيب الذي يترجم له كلامه ان يقوله وعليه ، في نفس الوقت ، ان يضيف بعض الكلمات من عنده لايضاح ما قد يكتنف بعض عبارات المتكلم من غموض . وقد يضيع على المترجم بعض الوقت في هذا السبيل ، ولكنه يعود الى اللحاق بالمندوب ، باهمال بعض العبارات التي يلجأ اليها الدبلوماسيون عادة لاعطاء انفسهم فرصة للتفكير ، كعبارات « على سبيل المثال » و «في راي الوفد الذي امثله » .. الخ..

ومن المترجمين فئة رسخت اقدامها في ثقافتين الى حد انها تسمو فوق الترجمة الحرفية . فاذا استشهد روسي مثقف ، مثلا ، بقصة من قصص الحيوانات لكريلوف ، كان في مقدور احد افراد تلك الفئة ان يتصدى لها بقصة مماثلة لايزوب ، او بيدبا الفيلسوف وفي بعض المناسبات ، يستطيع المترجم ان يضفي على ترجمته طابعا اجتماعيا مقبولا . وقد حدث منذ مدة وجيزة ان زار وزير الزراعة السوفياتي نادي الصحافة القومي بوشنطن وكان يترجم له خبير لغوي بوزارة الخارجية الاميركية من بروكلن ، ادى عمله على خير وجه ، مضيفا على ترجمته ذلك الطابع الاجتماعي الحميم ، حتى ان بعضا ممن سمعوه في ذلك اليوم قالوا انه لو بقي الوزير الروسي في الولايات المتحدة مدة كافية لامكنه الفوز بمقعد في مجلس الشيوخ الاميركي .

غير ان سحرة اللسان هؤلاء ، على علو كعبهم في الترجمة ، يخطئون في بعض الاحيان . ومن اخطائهم ما هو هفوة لسان ، كقول احدهم : « ميثاق اعتداء وعدم مساعدة» وقوله : « تخفيض المناقشات » بدلا من « تخفيض السلاح » وهما بالانجليزية متقاربتان
Reduction of armaments and
Reduction of arguments

كما ان منهما ما هو خلط في المعاني نتيجة الجهل كما حدث عندما وردت كلمة « هايزل » Hazel على لسان احد المندوبين السوفيات وهو يشرح وجهة نظر حكومته في قضية نزع السلاح ، ولما كانت « الهاء » تنطق « جيما » مصرية باللغة الروسية ، فقد ظن المترجمون ان المندوب السوفياتي يشير الى « الغزلان » دون ان يفطنوا الى انه كان يقصد الاشارة الى اعصار بهذا الاسم . وليتصور القارىء الذهول الذي استولى على كل من كان في قاعة المؤتمر انذاك .

وفي احدى المناقشات ، قلب مترجم سوفياتي عبارة « حكومة شيانغ كاي شيك الصورية » الى « حكومة شيانغ كاي شيك الخراعة » — خيال المآتة . فكانت نتيجة هذه السقطة ان فقد المترجم وظيفته .

ومن طريف ما حدث في احد المؤتمرات الدولية ان تفوه المندوب الفرنسي بعبارات مهينة ، وكان على المترجم الاميركي ان ينقل هذه العبارات الى اللغة الانكليزية ولكنه اخطأ فاوردها كلها بالفرنسية كما جاءت على لسان المندوب الفرنسي . فلما سمع هذا المندوب عبارات السباب التي تفوه بها ، ندم على ما فرط منه وسحبها . ويعترف هذا المترجم الان ان تكرار مثل هذا « الخطا » البريء في ظاهره وسيلة لتهدئة اعصاب المندوبين الثائرة .

وحدث في احد الاجتماعات الاولى للاربعة الكبار ان قدم مولوتوف اقتراحا بدأ بكلمة روسية معناها « نقترح » ، وترجمت هذه الكلمة الى اللغة الافرنسية فكانت Nous Demandons ومعناها «نلتمس» غير ان الذي ترجمها من الفرنسية الى الانجليزية جعلها We demand ومعناها « نطلب » ، وهي كلمة تحمل في طياتها معنى المطالبة بحق مقرر ، مما اثار الجو في تلك الجلسة .

وقد جرت عادة الدول — نظرا لاهمية الترجمة في سير العلاقات بين الدول — على ان تلحق بوفودها خبراء في اللغات ، يصغون لكل ما يقال ويسجلون الملاحظات بين الحين والاخر . فوزير الخارجية الاميركية ، جون فوستر دالز ، يصطحب معه في اغلب الاحوال تشارلز بوهلن ، سفير الولايات المتحدة في موسكو ، الذي يجيد الروسية اجادة تامة .

وتصطحب الوفود الفرنسية معها دائما اللغوي كونستانتين اندرونيكوف ، الذي يعتبر حجة في الروسية والفرنسية والانجليزية . اما الوفود السوفياتية ، فانها تستعين بالمترجم القدير اوليج ترويانوفسكي ، وقد تلقى جانبا من ثقافته في الولايات المتحدة .

ويعنى خبراء الترجمة ، فوق عنايتهم بالترجمة الشفوية ، بمراجعة ترجمة الوثائق والمعاهدات . وقد حدث في برلين عام ١٩٥٤ ان لاحظ السفير بوهلن خطاين في ترجمة وثائق مشروع معاهدة للامن قدمها السوفيات باللغتين الروسية والانجليزية . واحد هذين الخطاين استعمال لفظة (في) في النص الانجليزي بدل (من) الواردة في النص الروسي ، وهذا الخطا التافه في ظاهره اعطى معنى مختلفا كليا للظروف التي تستطيع فيها الولايات المتحدة اعادة ارسال قواتها الى المانيا المجردة من السلاح .

اما الخطا الثاني ، في نص مشروع المعاهدة ذاتها ، فكان ترجمة كلمة « اشتراك » بكلمة « دخول » . فقد ورد في النص الانكليزي انه يحظر على الفرقاء الموقعين من « الدخول » في اي حلف ذي اهداف متعارضة بينما جاء في النص الروسي بانه يحظر عليهم «الاشتراك» في اي حلف من هذا النوع . ولو بقيت كلمة « دخول » لكان على اميركا ان تنسحب من منظمة حلف شمال الاطلسي ، لانه حظر على موقعي المعاهدة « دخول » اي حلف اخر يتعارض واهدافها ، ولكن كلمة « اشتراك »ـ وهي الترجمة الصحيحة للكلمة الواردة في النص الروسي ـ لا تمنعها من ذلك لانالولايات المتحدة « موجودة » في المنظمة فعلا ولن « تدخلها » . وقد اعتذر مولوتوف في اليوم التالي لهذا الخطا ، وقبل منه بوهلن هذا الاعتذار على انه خطا غير مقصود .

تقول التوراة ان الرب في بابل بلبل السنة سكان الارض ، غير انه قد مرت في تاريخ الدبلوماسية فترات طويلة سادت فيها لغة واحدة في الغرب . ففي بادىء الامر ، كانت جميع المعاهدات الرئيسية تكتب باللغة اللاتينية وظل الحال كذلك حتى عام ١٦٤٨ عندما عقد صلح وستفاليا . وبعد ذلك التاريخ اصبحت الفرنسية لغة الدبلوماسيين والمعاهدات ، بل ان بعض كبار رجال الحكومتين الروسية والبروسية كانوا يكتبون رسائلهم الداخلية ومذكراتهم الرسمية بها . وقد ظلت اللغة الفرنسية سائدة في المعاملات الدولية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى وعقد معاهدة فرساي ، اذ تساوت عندئذ اللغتان الانجليزية والفرنسية في الميزان الدبلوماسي ، وكان من اسباب هذا التحول انه لا لويد جورج ولا ودرو ولسون كان يعرف الفرنسية جيدا .

وبعد انشاء منظمة الامم المتحدة اضيفت الى اللغتين الرسميتين العالميتين لغات اخرى منها الروسية ، والصينية وزادت الحاجة الى مترجمين اكفاء ، ملمين باساليب التفكير لدى الشعوب المختلفة .

وقد قام كبير مترجمي وزارة الخارجية الاميركية بدراسة هذه الاساليب ، مستعينا بمنحة قدمتها له مؤسسة روكفلر ، وخرج من ابحاثه بدراسة مطولة هي اعقد من ان نشرحها في هذا المقال . ولكن يمكن تلخيصها بالخطوط الرئيسية التالية :

فالاسلوب الانجليزي ـ اسلوب عملي ، منطقي . فاذا تحدثت عن قطة ، فانك تتحدث عن قطة معينة . وان تحدثت عن القطط بصورة عامة ، تركت مجالا للاستثناء . فيمكنك بالانكليزية لقول ـ لنلقي نظرة على قطط مختلفة ولا تعمم . ويمكنك القول : هكذا القطط ، تقريبا .

والاسلوب الفرنسي اسلوب استدلالي . فانك تقول مثلا : لنلقي نظرة على القطط المختلفة ليمكننا التعميم . و ـ تدلنا ملاحظة القطط المختلفة على طبيعتها الحقيقية . و ـ هكذا القطط ، وكفى .

اما الاسلوب الروسي ، فهو اسلوب وجداني كقولهم ـ فلنفهم الشعور الحقيقي للقططعلى اساس الاراء التي نحملها في ارواحنا . ولنسقط من حسابنا كل قطة غير مناسبة .

وهذا الاختلاف في الاسلوب ، تجد صداه في مناقشات السياسيين ، وكثيرا ما يضع المترجمين في حيرة من امرهم . ففي احدى مناقشات مجلس الامن ، تحدث مندوب اوستراليا عن ضرورة بحث « الحالة الموجودة امامنا » وبالفرنسية ، اصبحت هذه العبارة « الحالة المعروضة علينا » حاملة في طيها الاشارة الى « سلطة » المجلس على الحالة اما في الروسية ، فقد ترجمت هذه العبارة الى rassmatrivayemym nami ومعناها « هذه الحالة التييجري تحليلها » او «الحالة التي يتعين تقرير البند الذي تدخل تحته » .

وهكذا ، بينما يكتفي الاسترالي بمجرد القول : لننظر في هذا الامر ، يشعر الروسي ان امر هذا الشيء قد تقرر فعلا . ذلك ان طراز تفكيره يدفعه الى الظن انه ما دام قد اعطى « التشخيص » الصحيح للوضع ، فالاجراء « الصحيح » يتبعه بصورة الية .

اما ان يكون للامر وجهان ، فهذا في نظر الروسي لا ينهض على اساس ، او انه ضرب يكون . اما درجة التفاهم بين الاعضاء الروس من النفاق .

وقد سرد كبير مترجمي وزارة الخارجية الاميركيةعشرين مثلا مما حدث فياجتماعمجلس الامن المذكور ، وخلص بعد ذلك الى القول : « لقد حلت المشكلة اللغوية على احسن ما والاعضاء الناطقين بالانجليزية فتبدو صفرا » .

هذه هي بعض الصعوبات التي يواجهها المترجمون ولعل القارىء يكون قد اقتنع الان ان مهنة الترجمة ليست على ما تبدو من السهولة والبساطة وان المترجم دبلوماسي ولغوي بآن واحد .

بيتر هوايت



١٦ اكتوبر ١٩٥٦ ـ صدر بلاغ عراقي اردني مشترك اعلن ان الجانبين المتفاوضين لدخول قوات عراقية الى الاردن قد وصلا الى اتفاق تام .

١٧ ـ وصل طهران الاستاذ كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية ، يرافقه وزيرا الخارجية والدفاع .

١٨ ـ اجتمع مجلس منظمة مستخدمي قناة السويس في لندن وهي المنظمة التي انشاتها الدول الغربية .

١٩ ـ وصل فجاة وارسو الرفيق خروشوف السكرتير العام للحزب الشيوعي الروسي يصحبه عدد من المسؤولين السوفييت وكان وصولهم عقب اتخاذ الحزب الشيوعي البولوني قرارا باتباع سياسة اشتراكية مستقلة شبيهة بسياسة يوغسلافيا وكان الحزب قد اتخذ قرارا بعيد غومولكا الى اللجنة المركزية للحزب .

ـ اجتمع مجلس الامن الدولي وبدأ النظر في الشكوى التي قدمها الاردن بشأن الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة .

ـ صدر تصريح مشترك ينهي حالة الحرب الرسمية القائمة بين الاتحاد السوفييتي واليابان .

٢٠ ـ وصل الى موسكو الرفيق خروشوف وسائر الزعماء السوفياتيين بعد ان انتهت زيارتهم لبولونيا .

ـ اعلن راديو فرصوفيا رسميا انتخاب الزعيم غومولكا امينا عاما للحزب الشيوعي المركزي في بولونيا وقد اذاع غومولكا بيانا على الشعب اعلن فيه استقلال الحزب الشيوعي البولوني .

٢١ ـ استقبل سلطان مراكش زعماء جبهة التحرير الجزائرية .

ـ اعلنت الحكومة الفرنسية وقف المفاوضات مع الحكومة المراكشية بصدد المساعدات الفنية والمالية لمراكش وقد اتخذهذا القرارعلى أثر استقبال السلطان لزعماء الجزائر .

٢٢ ـ اعلنت نتائج الانتخابات النيابية التي جرت في الاردن امس . وقد قدم السيد ابراهيم هاشم رئيس الوزارة استقالته .

ـ وصل الى تونس سلطان مراكش محمد الخامس يرافقه رئيس الوزراء للاجتماع بباي تونس محمد الامين وبحث قضية انشاء نوع من الاتحاد بين شمال افريقيا يكون له رابطة مع فرنسا ثم انهاء القتال في الجزائر وايجاد تسوية لقضيتها الوطنية . وسيحضر زعماء حركة التحرير بالجزائر المحادثات بين العاهلين .

ـ اعتقلت الطائرات الفرنسية الطائرة التي تنقل خمسة من كبار زعماء حركة التحرير بالجزائربينما كانت فيطريقهامنالرباطالىتونس

ـ اقصت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في بولونيا المارشال روكوسوفسكي وزير الدفاع عن المكتب السياسي .

٢٣ ـ قامت مظاهرات عنيفة في تونس ومراكش ووقعت حوادث دامية احتجاجا على اعتقال فرنسا لزعماء الجزائر ضيوف سلطان مراكش .

ـ وصل الى عمان اللواء عبد الحكيم عامر قائد الجيش المصري واللواء توفيق نظام الدين قائد الجيش السوري لاجراء محادثات عسكرية هامةمع اللواء علي ابونوار قائدالجيش الاردني .

ـ عاد وفد الحزب الشيوعي المجري الذي كان يزور يوغوسلافيا الى بودابست ، وقامت في بودابست مظاهرات عنيفة دامية تطالب باجراءتغييرات حاسمةفي جهاز الحكم اسوةببولونيا

٢٤ ـ اعلن راديو بودابست نبأ اسناد منصب رئاسة الوزراء الى ايمري ناجي الذي اقصي عن الحكم سابقا بتهمة العمل على فرض نظام مشابه لنظام المارشال تيتو . وقد طلب الرئيس الجديد الى القوات السوفيتية تدخلها لتهدئة الحالة عملا بحلف فرصوفيا للامن المتبادل . ويدور قتال عنيف في الشوارع بين جموع العمال والقوات الروسية والمجرية.

ـ تم توقيع اتفاقات الدفاع المشترك بين الاردن وسوريا ومصر .

٢٦ ـ لم تستطع القوات الحكومية والسوفييتية اخماد الثورة في بودابست وقد وقع الاف القتلى .

ـ قدم سي محمد البكاي رئيس وزراء مراكش استقالة حكومته .

ـ قدمت فرنسا شكوى الى مجلس الامن ضد مصر تتهمها بالتدخل مباشرة بالثورة الجزائرية .

٢٧ ـ اعاد السيد محمد البكاي تاليف الوزارة المراكشية .

ـ الف الرفيق امري ناجي الحكومة المجرية الجديدة وقد ضمت وزيرين من غير الشيوعيين وعددا اخر من انصار ناجي ولكن تشكيل الحكومة الجديدة لم يفلح في تهدئة الثورة

٢٨ ـ اضربت جميع الاقطار العربية احتجاجا على اختطاف فرنسا قادة الثورة الجزائرية .

٢٩ ـ الف السيد سليمان النابلسي الامين العام للحزب الوطني الاشتراكي الوزارة الاردنية الجديدة .

ـ شن الجيش الاسرائيلي هجوما نظاميا واسع النطاق على الاراضي المصرية واحتل مواقع بالقرب من مدينة الكونتيلاوراس النقب .

ـ دعت امريكا وبريطانيا رعاياها الى ضرورة مغادرة مصر وسوريا والاردن واسرائيل سريعا .

ـ اذاع راديو بودابست ان الحكومة توصلت الى اتفاق مع الثوار على تسليم اسلحتهم بشرط ان تغادر القوات الروسية بودابست .

ـ انعقد مجلس الامن الدولي بناء على طلب امريكا وانجلترا وفرنسا للنظر فيمسالةالمجر

٣٠ ـ تلقت الحكومات الغربية نبأ الاعتداء الاسرائيلي على مصر بقلق شديد وقد دعي مجلس الامن لعقد جلسة سريعة للنظر في الحالة .

ـ التحم الجيش المصري بالقوات الاسرائيلية ودارت معركة اشتبكت فيها ايضا القوات الجوية واذاعت القيادة المصرية انها اوقفت زحف العدو.

ـ انعقد مجلس الامن للنظر في الاعتداء الاسرائيلي وقد طلبت امريكا والاتحاد السوفيتي ان يأمر مجلس الامن اسرائيل بسحب قواتها فورا من الاراضي المصرية . وقد عارضت بريطانيا وفرنسا المشروع الامريكي واستعملتا حق الفيتو .

ـ انذرت بريطانيا وفرنسا مصر واسرائيل بايقاف القتال خلال ١٢ ساعة والا اضطرت القوات البريطانية والفرنسية الى احتلال المراكز الاساسية في قناة السويس لحمايتها .

ـ سافر السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية الى موسكو .

ـ طلبت مصر من مجلس الامن النظر في الانذار البريطاني الفرنسي .

ـ اعلنت مصر التعبئة العامة والاحكام العرفية . كما اعلنت العربية السعودية التعبئة العامة واعلنت سوريا الاحكام العرفية .

ـ بعث الرئيس الامريكي ايزنهاور برسالة خاصة الى السير ايدن والمسيو موليه يدعوهما الىتسوية ازمة الشرق الاوسط بالوسائلالسلمية

ـ اذاعت حكومة امري ناجي في المجر بيانا وعدت فيه بانتخابات حرة وبالغاء الحزب الواحد وتاليف الاحزاب ووعدت بالعفو عن الكاردينال مندزنتي وباصلاح اخطاء الماضي . هذا ولا تزال مناطق كثيرة في ايدي الثوار . ووجه سلاح الجو المجري انذارا الى القوات الروسية المرابطة في العاصمة بالانسحاب .

ـ تدور معركة عنيفة بين القوات المصرية والاسرائيلية في ابو عجيلة يحاول الاسرائيليون فيها قطع الطريق بين غزة وبين الاراضي المصرية

ـ اعلنت الاردن والعراق الاحكام العرفية واعلن لبنان حالة الطوارىء .

٣١ ـ بدأ الانجليز والفرنسيون ينفذون انذارهم لمصر فشنوا هجوما جويا على القاهرة وعدة مناطق في منطقة القناة .

ـ قرر مجلس الامن دعوة الجمعية العامة للامم المتحدة للاجتماع لاقرار مشروع القرار الامريكي الذي نقضته انجلترا وفرنسا في مجلس الامن .

ـ اعلن المستر هامرشولد رغبته للاستقالة احتجاجا على الاعتداء البريطاني الفرنسي على مصر

اول نوفمبر ١٩٥٦ ـ صدر الامر بالتعبئة العامة لجميع القوات العراقية .

ـ تتابع القوات الجوية الفرنسية والبريطانية هجومها على مصر وقصف القاهرة ومنطقة الدلتا ومنطقة القناة .

ـ القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا هاما شرح الموقف في مصر وقال ان مصر ستقاتل قرية قرية وبيتا بيتا وقرر توزيع الاسلحة على الاهلين . وقد اعلنت الاحكام العرفية في مصر .

ـ استدعى الرفيق امري ناجي رئيس حكومة المجر سفير الاتحاد السوفييتي واعلمه ان المجر تعتبر نفسها منسحبة من حلف فرصوفيا العسكري .

ـ اعلن الرئيس جمال عبد الناصر انه صدرت الاوامر الى القوات المصرية بالانسحاب فورا من صحراء سينا والتجمع في قناة السويس ومنطقة الدلتا لمواجهة المعتدين وقال الرئيس ان هذا الانسحاب يشكل انتصارا لمصر

ـ اعلنت مصادر هيئة الرقابة الدولية ان القوات الاسرائيلية دخلت مدينة غزة بعد ان احتلت العريش ورفح .

ـ انزلت قوات عسكرية اضافية الى البحرين لقمع التظاهرات التي وقعت قرب منشآت الزيت في الجزيرة .

ـ قطعت كل من مصر وسوريا علاقاتهما السياسية ببريطانيا وفرنسا وقطعت الاردن علاقاتها السياسية بفرنسا .

ـ انعقدت الجمعية العمومية للامم المتحدة وقررت التصديق على الاقتراح الامريكي بوقف القتال والعودة الى حدود الهدنة والامتناع عن الغارات وفاز الاقتراح بـ ٦٤ صوتا مقابل ٥ وهي بريطانيا وفرنسا واسرائيل واستراليا ونيوزيلندا وامتنعت سبع دول عن التصويت وستبقى الجمعية العمومية منعقدة .

ـ فازت حكومة ايدن بالثقة على اساس التدخل العسكري على الرغم من معارضة حزب العمال الشديدة وقامت مظاهرات امام البرلمان تصيح في ايدن « نريد السلم » « اوقف الحرب » .

ـ يتوالى القصف الجوي البريطاني الفرنسي على مصر واذيع ان بعض الوحدات المصرية قد اسرت بعد مقاومة شديدة قرب العجيلة في قطاع غزة .

ـ عادت الحالة فتفاقمت في المجر واعلن الجيش المجري ان قوات روسية جديدة دخلت الى المجر واستولت على جميع المطارات . وبعث ناجي رئيس الحكومة برسالة احتجاج الى الاتحاد السوفييتي وابرق الى الامم المتحدة يطلب حماية المجر من هذا الغزو . ووجه كاردينال المجر مندزنتي الذي اطلق المجريون سراحه وجه نداء الى الغرب يدعوه ارسال المساعدات الى المجر لتتغلب على محنتها .

ـ اعلن الرئيس ايزنهاور انه قرر منح المجر مساعدة قيمتها ٢٠ مليون دولار من المواد الغذائية ومواد الاسعاف .

٣ ـ قدم المستر انطوني ناتنغ وزير الدولة البريطاني استقالته من حكومة ايدن احتجاجا على سياستها العدوانية .

« مراقبة »

ـ رفضت بريطانيا وفرنسا وقف اطلاق النار في السويس وصدر بلاغ مشترك ردا على قرار هيئة الامم المتحدة اعلن وجوب استمرار الاعمال البوليسية الجارية في مصر للحؤول دون توسع الحرب بين مصر واسرائيل الى ان تصل قوات الامم المتحدة الى قناة السويس .

ـ غادر الرئيس شكري القوتلي موسكو عائدا الى دمشق

ـ طلبت مصر عقد جلسة عاجلة للجمعية العامة للامم المتحدة لبحث رفض بريطانيا وفرنسا وقف القتال .

٤ ـ قررت الجمعية العامة للامم المتحدة قبول اقتراح كندا بتفويض المستر داغ هامرشولد بوضع الخطط اللازمة خلال ٤٨ ساعة لانشاء قوة بوليس دولية تتولى المحافظة على الامن في الشرق الاوسط .

ـ شهدت لندن وغيرها من المدن البريطانية تظاهرات صاخبة عنيفة نظمها حزب العمال البريطاني ضد حكومة ايدن .

ـ اصدرت الحكومة الامريكية الامر الى جميع شركات النفط الامريكية في العالم بعدم ارسال النفط الى انكلترا وفرنسا .

ـ القت روسيا بالف دبابة في الهجوم على بودابست واستولت عليها وقطعت الحدود بين المجر والنمسا واقيمت حكومة موالية للسوفييت برئاسة الرفيق كادار امين الحزب الشيوعي السابق .

ـ ارسل الرئيس ايزنهاور مذكرة مستعجلة الى المارشال بولفانين يطلب فيها اجلاء الجيوش الروسية عن المجر وترك امر نوع الحكم لشعب المجر .

ـ ذكرت الحكومة الامريكية الحكومتين البريطانية والفرنسية بشروط اتفاقات المساعدة للدفاع المتبادل المتعلقة بالاعتدة العسكرية التي قدمتها امريكا لهما والتي تنص ان لا تستعمل هذه الاعتدة الا في الدفاع عن منطقة ميثاق شمالي الاطلسي .

٥ ـ ارسل المارشال بولفانين انذارين متشابهين الى انجلترا وفرنسا قال فيهما : اننا مصممون تصميما اكيدا على استخدام القوة لقمع اعتدائكما ووضع حد للحرب في مصر

ـ اعلنت بريطانيا وفرنسا انهما عازمتان على وقف القتال في مصر حالما تقبل مصر واسرائيل بمشروع الامم المتحدة .

ـ لا تزال القوات الانكليزية والفرنسية الجوية تواصل غاراتها على القاهرة وبور سعيد والاسماعيلية والسويس والاسكندرية . وقد بدأ غزو القوات المعتدية للساحل المصري في بور سعيد وبور فؤاد والمقاومة المصرية تتصدى بضراوة للقوات النازلة والقتال مستمر بعنف .

ـ اقرت الجمعية العمومية العامة للامم المتحدة مشروع هامرشولد لتكوين قوة بوليس دولية للعمل في الشرق الاوسط تساهم فيها الاقطار الصغيرة وتوضع برئاسة كبير المراقبين الدوليين الجنرال بيرنز .

ـ لا يزال القتال دائرا في المجر بعنف بين القوات الروسية الجوية والبرية والقوات المجرية ورجال الثورة .

ـ قررت الجمعية العامة للامم المتحدة ادانة الاتحاد السوفييتي بحوادث المجر باغلبية ٥٠ صوتا مقابل ٨ اصوات وامتناع ١٥ .

ـ ردت اسرائيل على مجلس الامن بقبول وقف القتال .

٦ ـ اعلن المستر هامرشولد ان الحكومتين البريطانية والفرنسية قررتا وقف اطلاق النار

ـ قطعت مصر علاقاتها مع استراليا وقطعت المملكة العربية السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا .

ـ رفض مجلس الامن باربعة اصوات مقابل ثلاثة وامتناع اربعة بحث الاقتراح الذي تقدم به الاتحاد السوفييتي لتفويض الولايات المتحدة وروسيا بالتدخل عسكريا لوقف القتال في الشرق الاوسط .

ـ وصل الى نيودلهي هيلاسيلاسي امبراطور الحبشة في زيارة رسمية للهند .

ـ اقيل ٣٢ ضابطا روسيا من الجيش البولوني وعينت الحكومة مكانهم ضباطا بولونيين .

ـ اعلنت الصين الشعبية انها سرحت من قواتها العاملة حتى الان خمسة ملايين جندي .

ـ دخل الجيش العربي السعودي الاراضي الاردنية

٧ ـ جرت الانتخابات العامة لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة الامريكية وقد

فاز الرئيس ايزنهاور وتجددت بذلك رئاسته لمدة اربع سنوات .

ـ صرح بن غوريون رئيس الحكومة الاسرائيلية ان اسرائيل لن تترك صحراء سيناء وانها لا تقبل وجود قوة من البوليس الدولي في مناطقها .

ـ ارسل الرئيس ايزنهاور كتابا الى بن غوريون يطلب اليه ان يخضع بسرعة لقرار الامم المتحدة .

ـ ابحر من المواني الامريكية عدد كبير من قطع اسطول المحيط الاطلسي متجهة الى وجهة مجهولة .

٨ ـ استقال المستر ادوار بول الوزير البريطاني المساعد في الشؤون المالية من حكومة انطوني ايدن استنكارا لسياستها .

ـ ابلغت اسرائيل هيئة الامم انها قررت قبول توصيات الامم المتحدة .

ـ ما يزال القتال مستمرا في بودابست والمقاومة الشعبية لم تتوقف . وقد شهدت عواصم ومدن اوروبا اليوم تظاهرات صاخبة احتجاجا على اعمال القمع داخل المجر .

٩ ـ صرح متحدث بلسان وزارة الخارجية الامريكية بان عدد القوات الانكليزية والفرنسية التي اشتركت في الهجوم على مصر بلغ ١٦٠ الف جندي .

ـ القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا قوميا جامعا تحدث فيه عن نتيجة الاعتداء الانكليزي الفرنسي الاسرائيلي على مصر واعلن انتصار بور سعيد وانتصار القومية العربية .

ـ اعلنت الحكومة العراقية قطع علاقاتها الدبلوماسية بفرنسا .

ـ جدد الفدائيون العرب غاراتهم الخاطفة داخل اسرائيل .

١٠ ـ صدقت الجمعية العامة للامم المتحدة مشروع قرار يقضي بسحب القوات السوفييتية حالا من هنغاريا واجراء انتخابات حرة تحت اشراف الامم المتحدة . ووافقت الجمعية على مشروع امريكي يطلب الى الروس التوقف عن عرقلة نقل وتوزيع الاطعمة والمعدات الطبية التي ترسل الى الشعب الهنغاري .

ـ اعلنت الحكومة السوفييتية انها ستسمح لمتطوعين روس مدربين بالالتحاق بالقوات المصرية ما لم يبادر المعتدون الى سحب قواتهم من مصر نزولا عند قرار الامم المتحدة .

١٢ ـ اقرت الجمعية العمومية للامم المتحدة قبول الدول العربية الثلاث تونس ومراكش والسودان اعضاء جددا .

ـ تمت موافقة مصر على دخول قوة البوليس الدولية الى الاراضي المصرية .

ـ اعلنت الصين الشعبية عن استعدادها لارسال ٢٥٠ الف متطوع للدفاع عن مصر .

ـ تقدر الصحافة العالمية عدد قتلى المجريين حتى الان باكثر من ٢٠ الف قتيل وخمسة الاف قتيل من الروس ويقدر عدد الجرحى من الجانبين بخمسين الفا .

١٣ ـ عقد في بيروت مؤتمر الملوك والرؤساء العرب بدعوة من رئيس الجمهورية اللبنانية .

ـ صرح الجنرال الفرد غرونثر قائد قوات حلف شمال الاطلسي انه اذا نفذ الاتحاد السوفييتي تهديده بارسال صواريخ الى بعض البلدان فسوف نلجا الى الاعمال الانتقامية وندمر الاتحاد السوفييتي .

ـ رفضت الحكومة المجرية السماح بدخول المراقبين الدوليين الى اراضيها للتحقيق .

١٤ ـ سافر الى موسكو وفد من زعماء بولونيا برئاسة الرفيق غومولكا السكرتير العام للحزب الشيوعي لاجراء محادثات مع زعماء الكرملين

ـ اعلن راديو بودابست ان القوات الروسية اعتقلت عددا كبيرا من المجريين وانها ترسلهم الى المناطق الشرقية لكي تنهي الثورة في البلاد وتحمل العمال على استئناف اعمالهم .

ـ اذيع في موسكو بان مصر طلبت ارسال المتطوعين السوفييت حالا .

ـ صرح الرئيس ايزنهاور ان الولايات المتحدة ستقاوم عن طريق الامم المتحدة على الارجح اي تدخل من جانب المتطوعين الروس او الصينيين في مصر .

١٥ ـ انتهى مؤتمر ملوك ورؤساء العرب الذي عقد في بيروت وقد صدر بلاغ مشترك جاء فيه ان الاعتداء على مصر هو عدوان على البلاد العربية يقتضي توحيد السياسة والجهود العربية اما القرارات فتقول بتنفيذ مقررات هيئة الامم بسحب القوات المعتدية من الاراضي المصرية واذا تازم الموقف اعتبار كل من بريطانيا وفرنسا واسرائيل مسؤولة بالتضامن وحينئذ تباشر الدول العربية اعمالا بحق الدفاع المشروع عن النفس . ثم فصل قضية قناة السويس عن قضية العدوان على مصر . واخيرا تأييد مطالب الشعب الجزائري وتحية الرئيس عبد الناصر وجيش مصر .

ـ وصلت الى مصر الدفعة الاولى من قوات البوليس الدولي المقرر ان تشرف على الامن وتقوم بتنفيذ قرارات الامم المتحدة .

ـ كشف المارشال تيتو النقاب عن ان محادثاته الاخيرة مع الزعماء الروس في القرم اظهرت بوضوح وجود صراع في الكرملين بين تلامذة ستالين وانصار التحرر وتخفيف القيود عن اقطار اوروبا الشرقية . وقال انه ما زال يأمل ان تتغلب وجهة نظر المعتدلين لان سياسة القمع والحيلولة دون تحرر الشعوب لا يمكن ان تدوم الى الابد .

ـ بعث المرشال بولغانين بمذكرات جديدة الى رؤساء حكومات بريطانيا وفرنسا واسرائيل وقد اعرب بولغانين عن رضاء الاتحاد السوفييتي عن وقف الاعمال الحربية في مصر وطالب بتعويض مصر عن الخراب الذي انزله بها الاعتداء وحذر اسرائيل بان اعتداءها على مصر يثير مسالة استمرار وجود اسرائيل كدولة .

ـ صرح السيد حسين سهروردي رئيس وزراء الباكستان حول انسحاب الباكستان من الكومنولث ومن حلف بغداد بمناسبة العدوان الاخير على مصر فقال انني ارفض ان تصبح الباكستان معزولة وقال لن افعل شيئا يضعف الباكستان ويجب ان يكون لنا اصدقاء نعتمد عليهم ان اعداءنا يجتهدون لعزلنا واضعافنا حتى نقع فريسة لمراميهم .

١٦ ـ قدم الدكتور عبدالله اليافي رئيس الوزارة اللبنانية استقالة حكومته .

ـ وصل المستر داغ هامرشولد امين الامم المتحدة الى القاهرة واجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر .

ـ اتخذت الجمعية العمومية للامم المتحدة قرارا بتاجيل بحث ادخال الصين الشعبية الى الامم المتحدة سنة واحدة على الاقل وذلك بناء على المشروع الامريكي .

١٧ ـ وصل بغداد السيد اسكندر ميرزا رئيس الجمهورية الباكستانية والسيد سهروردي رئيس الوزراء .

ـ عرض الاتحاد السوفييتي على الدول الغربية والهند مشروعا شاملا لنزع التسلح يقضي بتدمير كل الاسلحة الذرية والهيدروجينية واقترح المارشال بولغانين عقد اجتماع على مستوى عال بين الدول الاربع الكبرى والهند لبحث اقتراحات المشروع وخير زعماء الدول الخمس بين قبول هذا المشروع لنزع التسلح او مواجهة حرب عالمية جديدة .

١٩ ـ شكل الاستاذ سامي الصلح الوزارة اللبنانية الجديدة .

ـ حذر الرفيق شبيلوف وزير الخارجية السوفياتية دول العالم من خطر وقوع حرب اذا ما قررت الامم المتحدة ارسال قوات دولية الى المجر وكان هذا التصريح في اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة اثناء مناقشتها مسالة المجر وبعدما اقترح مندوب كوبا دعوة الاتحاد السوفياتي الى ايقاف ترحيل السكان المجريين الى سيبريا واعادة الذين رحلوا .

ـ وصل بغداد السيد عدنان مندريس رئيس الحكومة التركية كما وصلها الدكتور على اردلان وزير الخارجية الايرانية لحضور اجتماعات الدول الاسلامية المنضمة الى حلف بغداد

٢٠ ـ اعلن رسميا في لندن ان رئيس الوزارة البريطانية السير انطوني ايدن تخلى عن معظم مهماته بسبب حالته الصحية المجهدة وقد حل محله المستر بتلر حامل اختام الملكة .

ـ عين المارشال روسوكوفسكي وزير الدفاع البولوني الذي اقيل من منصبه نائبا لوزير الدفاع السوفييتي .